الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

قسم اللّغة والأدب العربيّ

مذكّرة مقدّمة ضمن متطلّبات نيل شهادة التخرّج ماستر موسومة بـ:

دراســة كتاب:

"ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ"

إعداد الطّالبات :

– طهار فاطمة

– بنة عائشة

إشراف:

د/ فتح الله محمد

أعضاء لجنة المناقشة

د/ بن سعيد البشير	رئيسا
د/ فتح الله محمد	مشرفا ومقررا
د/ بن بغداد أحمد	مناقشا

الموسم الجامعيّ: 1440- 1441هـ/ 2019- 2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر و عرفان

عرفانا بفضل الله العلي القدير على تدليل لنا العقبات و إنارة درب العلم و منحنا القدرة و الصبر لإنجاز هذا العمل المتواضع نردد بكرة و أصيلا "الحمد الله و الشكر لله "ثم عرفانا بوقفة الاستاذ المشرف "فتح الله محمد " إلى جانبنا نتقدم له بجميل الامتنان على الثقة و مجال الحرية الذي اتاحه لنا ،لنتحرك دون قيود بعد أ، زودنا منذ بداية البحث بنصيحة التحلي بالإقدام و التعامل بلغة الشجاعة مع المعلومة .

و عرفانا أيضا بمجهودات من مد لنا يد العون من بعيد أو قريب بمرجع أو توجيه أو كلمة طيبة في سبيل العلم نقول شكرا جزيلا لكل أساتذة قسم الأدب العربي بدون استثناء على نصائحهم .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " من لم يشكر الناس لم يشكر الله ،و من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأدعو له "

صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم

إهداء.

كل شيء يزول إلا كلمات أسمعها الله لنبيه " اقرأ باسم ربك " و ما نحن إلا من اتبع الخطى و جسد هذا العمل المتواضع في مذكرة التخرج :

أهدي ثمرة جهدي إلى التي أعطتني و علمتني حب الدنيا و منحت لي نعامتها و همساتها و أنارت لي درب حياتي إلى رمز العواطف و الآمال أمي الحنونة

إلى من ألبسني رداء العفة و الكبرياء ، و زرع في نفسي حب العلم و الحياة و هدى لي الطريق حتى أصل إلى دربي إلى رمز الشموخ أبي الغالي

إلى من لا يفرقني عنهم الزمان و لا كل الاقوال مهما كان ، خير من أهداني الرحمن إخوتي و أخواتي دون نسيان البراعم الصغار

إلى من تدمع العين لفراقهم و يتمزق القلب لبعدهم ، أكن اهم مشاعر الحب و الاحترام : نور الهدى ، ميمونة ، سهيلة ، حنان

إلى من أحصتها عيني و حفظها قلبي و كانت دوما بجانبي فاطمة

زادها تقديرا و احتراما لمن أشرف على هذا العمل الاستاذ فتح الله حمد

عائشة

إهداء.

الحمد الله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

أهدي ثمرة جهدي إلى بسمة الحياة و سر الوجود إلى بلسم الفؤاد و منبع الحنان ، التي غمرتني بحنانها و عطفها و سهرت الليالي لراحتي و ضحت بالكثير لتراني في أحسن الأحوال ، إلى الحضن الدافئ حيث الأمان إلى شمعة الامل التي أنارت دربي إلى أمي الحبيبة أطال الله في عمرها .

إلى من رباني على العقيدة و الفضيلة و غرس في نفسي الأخلاق الحميدة ، إلى من وهب عطاء عمره من أجلي و أضاء لي درب حياتي إلى أبي الغالي أطال الله في عمره و رعاه .

إليكما والديا وما أريد منكما إلا الرضاء و الدعاء

إلى من تربطني بهم المشاعر فيحن قلبي عند لقائهم و تحلو الحياة بوجودهم .

إلى من جمعتني بهم الصداقة فكانوا في البداية رفاقي ثم أصبحوا في النهاية إخوتي :

نادية ، نابية ، عائشة .

إلى من يحمل لقب طهار و بنة و كل خريجي دفعة 2020

فاطمة

بطاقة فنية:

الكاتب: رابعة عبد السلام المجالي .

المؤَلف: ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ .

الطبعة: الأولى .

دار النشر: دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع .

بلد النشر: عمان –الأردن .

سنة النشر: 2008.

حجم الكتاب: الكتاب من الحجم المتوسط .

عدد الفصول : ثلاثة

عدد الصفحات: 327.

مقدّمة

مقدّمة :

لقد شهد العصر العباسي تطورا كبيرا ، كما حظيت الدولة بالازدهار و التقدم ، فنشأت الدولة العباسية سنة 132-656هـ ، و تأسست على يد أبو العباس بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، و قد اشتهر بأبي العباس السفاح ، كما انقسمت الدولة العباسية إلى أربعة عصور موزعة على النحو التالي :

العصر العباسي الأولى سمي بعصر القوة و الازدهار و يمتد من 132-232هـ

أما العصر الثاني سمي بعصر النفوذ التركي يمتد من 232-334هـ

أما العصر الثالث سمي بعصر النفوذ البويهي الفارسي334-447هـ

أما العصر الرابع سمي بعصر السلجوقي التركي 447-656هـ

لقد تميز العصر العباسي بالازدهار والتطور ، نتيجة حياة الترف التي عاشها العباسيون ، لذلك سمي بالعصر الذهبي لأنه شهد عدة تطورات و في جميع المجالات فترى الكاتبة رابعة عبد السلام المجالي أن الحياة العباسية تطورت تطورا ملحوظا لاسيما في المجال العلمي و الثقافي و الاجتماعي، فمن خلال كتابها ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ و الصادر سنة 2008، فالكاتبة الأردنية حاولت من خلال كتابها أن تبرز دور ملامح العصر العباسي ، و من هنا اعتمدنا على كتاب الأديبة الأردنية رابعة عبد السلام المجالي الموسومة ب ملامح الحياة العباسية من خلال كتابها الحيوان للجاحظ ، حاولت رابعة عبد السلام المجالي من خلال كتابها أن تبرهن على صحة أطروحتها حيث طرحت في كتابها مجموعة من الإشكاليات أهمها :

-كيف ساهمت الجوانب الحياتية في العصر العباسي ؟

و تفرعت إلى إشكاليات فرعية منها :

-كيف ساهمت الحياة العلمية في تطور المجتمع العباسي ؟

-ما هو المنهج المتبع في البحث و التأليف لدى الجاحظ؟

-كيف أثرت الحياة الثقافية في المجتمع العباسي؟

-كيف نظر الجاحظ من خلال الترجمة و اللغة عنده ؟

-كيف كانت الحياة الاجتماعية لدى المجتمع العباسي ؟

- هل يعتبر الجاحظ عالم اجتماع؟ و ماهي صورة المجتمع ؟و كيف أثرت البيئة عليه؟.

و للإجابة على هذه الإشكاليات فقد تم هيكلة هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة استعرضنا فيها نتائج البحث

الفصل الأول: الحياة العلمية

الفصل الثاني: الحياة الثقافية

الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية

وتماشيا مع طبيعة الدراسة فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي التفسيري في دراستنا لكتاب ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، كما اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر نذكر أهمها :

- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول
- الجاحظ، الحيوان، الجزء الثالث
- إيميل بديع يعقوب ، فصول في فقه اللغة العربية
- صادق يوسف الدباس ، دراسات في علم اللغة الحديث
- رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ

و قد تميز أسلوب رابعة عبد السلام المجالي من خلال بحثها أسلوب بسيط و مباشر ، و ككل بحث واجهتنا مجموعة من الصعوبات والعراقيل أهمها صعوبة المادة العلمية في كتاب رابعة عبد السلام المجالي و كثرة المادة العلمية فيها و صعوبة التحكم فيها و عدم القدرة على صياغتها، إضافة إلى الظروف

الصحية الراهنة التي حالت دون الحصول على المراجع اللازمة لإتمام البحث والاعتماد على النسخ الإلكترونية.

وفي نهاية بحثنا هذا نتقدم بالشكر الجزيل لله عزوجل على توفقه لنا كما لا ننسى كل فرد ساهم لتحرير هذا العمل و على رأسهم الأستاذ المشرف فتح الله محمد .

طهار فاطمة

بنّة عائشة

تيسمسيلت: 2020/09/02.

مدخل

ترك الأديب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري ت 255هـ ، مجلدات من كتبه الشاملة و المختلفة في الأدب و الفكر و الفنون الحضارية و الثقافية و الشعبية ، التي تركها في مصنفاته الموسوعية خلال القرن الثاني الهجري أيام الخلافة العباسية في العراق فقط حظي التراث الشعبي بحظ وافر وواضح في مؤلفاته الكبيرة نحو الحيوان ، البيان و التبين ، التاج ووسائله المختلفة و التربيع و التدوير ،و البرصان و العرجان و العميان و الحولان و البلدان ...فالجاحظ حظي باهتمام بليغ ممن ولعوا بالترجمة و نقد مؤلفاته من العرب و غير العرب فالأدباء لديهم عناية كثيرة من الباحثين و الدارسين و النقاد ، و قلما حظي أديب عربي آخر بمثل ما حظي به الجاحظ من الوصول و الاهتمام و العناية و لا غرابة في ذلك أن الجاحظ دعا إلى التفكير المليء و النظرة الثاقبة عند معالجة الأشياء و نقد الظواهر ، و هو كان بعيدا عن العاطفة و اتخاذ المواقف سلفا فهو ما يزال يشتغل بال الأدباء و الكتاب و النقاد و الباحثين و الدارسين على اختلاف أمزجتهم و مشاريعهم ، فهو حري باهتمام بكتاب الحيوان للجاحظ ت255هـ فهو جدير بالاهتمام بمطالعة و الدرس و التفقه و التجوال في أسفاره المتعددة ، فهو يهتم بماضي الأمة و حاضرها و مستقبلها ، فثقافة أمة خالدة بخلود لغتها الأصلية فقيمة الكتاب جد عظيمة فهذا التراث يعود ضرورة لابد منها .

لقد وقف على المعرفة ليستخرج كنوزها فهو يستحسن ربط الماضي بالحاضر ، ليصنع منه علما . فهو يؤمن بتراثه و جدواه و لعل كتاب ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ لمؤلفته الدكتورة رابعة عبد السلام المجالي و الصادر عن دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع في الأردن ، في صفاحاته المتكونة من 327 صفحة ، فإنه يأتي من قبل المجالي لكي تتجول في صفحات هذا الكتاب الموسوعي الذي ألفه الجاحظ بخبرة سبعين عاما مصحوبة بالاطلاع و التجربة الواسعة و القارئ لهذا الكتاب أو الناظر لعنوانه الحيوان كما تقول المؤلفة " يخاله كتابا خاصا بالحيوان فقط ، و

هذا ربما يلاحظه الشخص إن كان قارئا له الغاية العلمية ، و كان يهمه أولا علم الأحياء متخصصا فيه، فلا ريب أنه موسوعة تعنى بمعالجة الحيوان في جميع ما يخصه "[1]

فلا ريب أن هذه الموسوعة تعنى بمعالجة الحيوان بكل ما يخصه فإن هذا الكتاب و بالصفة التي لا نستطيع انتزاعها و خلعها عنها و هي صفة الشمولية الموسوعية .

فهذه الدراسة من تأليف رابعة عبد السلام المجالي الصادرة عن دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع ، و تتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول :يتحدث عن الحياة العلمية في العصر العباسي حيث وزعته على مقدمة و الحياة العلمية حيث ناقشت منهج الجاحظ العلمي في البحث والتأليف ثم الطب عنده ، مبينا كيف كان للجاحظ السبق و الريادة في علم النفس و علم النفس الحيواني أما **الفصل الثاني** يتحدث عن الحياة الثقافية في ذلك العصر وقفت فيه المؤلفة على المقدمة فناقشت نظرة الجاحظ للكتاب مبينا كيف كان الجاحظ أول من وضع أسس الترجمة ثم بين أثر الجاحظ في اللغة في ذلك العصر ، أما **الفصل الثالث** فقد خصص للحديث عن الحياة الاجتماعية بحيث وقف على مقدمة كما خصص للحديث عن الحياة الاجتماعية و كيف تحدث الجاحظ عن علم الاجتماع فوضع بعض الأسس الهامة في بناء المجتمع فربط ذلك بأثر البيئة على خلق وطباع الناس مصورا مجتمعه في أطواره و حالاته المتباينة مظهرا إياه من خلال طبقاته و فئاته المتعددة .

متبعا في ذلك المنهج العلمي التفسيري .

و من أهم النتائج التي توصلنا إليها :

- ✓ الحياة العلمية مرتبطة بثقافة الأمة الخالدة بخلود لغتها الأصلية .
- ✓ فقد اهتمت هذه الحياة بالتجارب العلمية و تفسيراتها البيولوجيا .

[1]- رابعة عبد السلام المجالي، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، ص 25

- ✓ حظيت الحياة الثقافية اهتماما بالغا و تطورا واضحا بدراسة ذلك التراث في عصره .
- ✓ اشتملت الحياة الثقافية على عدة ركائز من بينها أسس الترجمة و أثر اللغة في أثر البيئة و المجتمع في عصر الجاحظ .

أما فيما يخص العتبات الدلالية لكتاب ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ نحللها كالآتي :

أول ما تقع عليه العين هو الغلاف الخارجي للكتاب إذ يعتبر أحد أهم العناصر التي تشد انتباه القارئ يجعله يخمن في العلاقة بين الغلاف و النص و الغلاف يتكون من لوحة فنية أساسية في بناء الكتاب و لكل هذه الوحدات دلالاتها و البداية مع :

اسم المؤلف : أحد أهم العناصر الغرافيك الأساسية المشكلة لغلاف كتاب ما فهو الأساس الذي يثبت لصاحبه عمله و لا يمكن الاستغناء عنه فلا وجود المؤلف بدون المؤلف و لصاحب كتاب الحرية في كيفية و طريقة و مكان كتابة اسمه و من خلال غلاف الكتاب الذي بين أيدينا نلاحظ أن رابعة عبد السلام المجالي قد كتبت اسمها في الوسط بشكل واضح يشد الانتباه .

الوصف :**العنوان** مكون أساسي في تشكيل الواجهة الأساسية للكتاب فهو يعد أساس و دافع بالقارئ للولوج إلى أعماق النص و يسهل علينا معرفة ما يحتويه الكتاب فالعنوان يزيل الغموض السائد حول الكتاب و يجعل القارئ يتكهن و يتخيل القضايا المعالجة في طيات الكتاب لذلك فالعنوان وحدة أساسية للغلاف له أهمية كبيرة و بالغة ،أما بالنسبة للصورة هي لوحة فنية بين الرسام و الناظر فنقوم بوصف المكونات اللغوية و الأيقونية ، فقد كتبت عنوان كتابها في شقين ، العنوان الأساسي بالخط الغليظ أما العنوان الفرعي متوسط فقد زاوجت بين اللونين الأسود و الابيض و هذا ليضيف جمالية على الكتاب و يعطيه قيمة .

الدلالة : تحديد دلالات مكونات الصورة و ايحاءاتها .**دلالة اللون** لون غلاف الكتاب أحمر أجوري فهو يوحي إلى الفجر ، **الرموز و الايحاءات** فقد تعددت الرموز في هذا الكتاب بحيث اشتملت

على اليد التي تحمل قلما و هي توحي إلى العلم و المعرفة أما بالنسبة للعين فهي تدل على الشمس و شروقها من الشرق ، و توحي أيضا إلى أسبقية الشرق حضاريا و علميا و معرفيا لأن الشرق يمثل مهد الحضارات القديمة و الديات التوحيدية و مصدر للحكمة .

الحجم :أما فيما يخص حجم الكتاب فهو من الحجم المتوسط من الورق العادي يحتوي على فصول و عناصر فالصفحة الأولى من بعد الواجهة تحتوي على العنوان و الدار الصادرة منها ،الكتاب يبدأ بترقيم الفصل الأول من العدد09و ينتهي بفهارس الكتاب الصفحة 327صفحة .

المنهج الذي اتبعته رابعة عبد السلام في كتابها ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ لقد قسمت رابعة عبد السلام المجالي كتابها هذا إلى ثلاثة فصول و كل فصل عالج مجموعة من القضايا هي :

1- الحياة العلمية و اشتملت عليه من طب ، علم النفس ، علم نفس الحيوان ، منهج الجاحظ في البحث و التأليف .
2- نظرة الجاحظ للكتاب بالنسبة لترجمة و اللغة .
3- الحياة الاجتماعية عند الجاحظ ، عالم اجتماع ، البيئة ، صورة المجتمع عنده .

الاسباب و الدوافع

وراء تأليف كتاب ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ لرابعة عبد السلام المجالي ،لقد شكل صدور كتاب ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ صدمة كبيرة لدى الوسط العربي لما تناوله من قضايا أدبية مختلفة و مهمة بحيث ركز على الحياة العباسية معتمدا في ذلك على كتاب الحيوان أما الدافع الثاني فالكتاب يشتمل على عدد كبير من آراء جماعة المفسرين ، فهو كتاب حياة بجوانبها كافة يفصح عن العصر الذي عاش فيه مؤلفه فهو كتاب يصلح لأن يقرأ من فئات متعددة للمعرفة و الاطلاع و البحث .و الملاحظ أن رابعة عبد السلام المجالي اعتمدت على معلومات قيمة ساهمت في اثبات و ايصال مع وجهة نظرتها للقارئ أو المتلقي بطريقة سهلة و بسيطة

، أما فيما يخص الأمانة العلمية فقد التزمت كليا دون زيادة أو نقصان إلا أن أسلوبها كان يعتمد على التكرار بكثرة . يعتبر كتاب ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ لرابعة عبد السلام المجالي فهو كتاب الحيوان موسوعة تضج بملامح الحياة العباسية .

وقد اعتمد على جملة من المراجع لعل أبرزها:

- الحيوان للجاحظ
- الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية أبو طالب
- ضحى الإسلام أحمد امين

وبعد تتبّع اقتباسات الكاتب وإحالات الكتاب بالرّجوع إلى المراجع الّتي استقى منه مادّته العلميّة تبيّن لنا نزاهة الكاتب وأمانته العلميّة في النّقل.

الفصـــــل الأوّل

الحياة العلمية

لقد انتشر الاسلام و انطلق الفاتحين المسلمين ،بحيث نشروا الدَين الحنيف في ربوع العالم السبب في ذلك هو تطلع العرب و المسلمون منذ العصر الأموي بثقافات و علوم الأمم الأخرى في مختلف العلوم ،فيأخذون منها ما يطورون به ما عندهم وماهم بحاجة إليه .بحيث يدعو القرآن الكريم لإزالة الغشاوة عن العيون و الوقر عن الآذان و يذكر العرب في معظم آياته باستخدام العقل و التدبر في آيات الله الكونية و التأمل فينعم الله .و لعل ما جاء في العصر العباسي على الشرق و الغرب من الانفتاح الذي أطلقه المؤرخون على العصر الذهبي ،و لا سيما في عصر المأمون مما كانت له يشجعون العلماء بما أتوا من حكمة و أموال في التنافس في مجال العلم .فقام المأمون و غيره من الخلفاء في فتح المجال أمامهم ليغدقوا الأموال على العلماء ،فمنهم "طاهر بن الحسين "قائده على "خراسان " ووواليه عليها وصل أبا عبيد القاسم بن سلام بألف دينار . فكان للمساجد الدور الأكبر لاكتشاف أهل العلم الذين يلمعون في حلقاتها و لهذا ازدهرت الحركة العلمية . نلاحظ مما سبق أن للمساجد دور كبير في نشر العلم و التطور و الازدهار ،كما يرى شوقي ضيف أن الاسلام جذوة المعرفة في نفوس العرب .إذ دفعهم دفعا قويا إلى العلم والتعلم ،فلم يمضي نحو قرن حتى أخذت العلوم اللغوية و الدينية توضح أصولها .[1]و هناك عامل آخر في تطور ازدهار الحركة العلمية كما يذكر ذلك شوقي ضيف في حديثه عن هذا العصر هي المجالس الخاصة التي كانت تعقد في مجالس الخلفاء و الوزراء و الأمراء ،إذ تحولوا بها إلى ما يشبه ندوات علمية يناظر فيها العلماء من كل صنف على نحو ما يروي من مناظرة الكسائي الكوفي و اليزيدي البصري بين يدي المهدي "[2]يتضح لنا من خلال هذا القول أن مجالس العلماء كان لها دور بارز في تطور الحركة العلمية ،فشاع العلم و المعرفة لدى الناس على اختلاف طبقاتهم و مذاهبهم و أجناسهم ، ينخرطون في ثقافة العصر و بهذا اطلع العرب على مختلف العلوم لاسيما العقلية منها حتى الطب و الرياضيات و التنجيم و الفلك حتى أن الأدباء أخذوا يصيغون

[1] –شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأول ،دار المعارف و الفكر ،القاهرة ،ط 8 ،1966،ص98

[2]–ينظر :المصدر نفسه ،ص 105

أدبهم بالصيغة العلمية "[1]قال النظام أستاذ الجاحظ في منهج البحث فقد" كان آية في النبوغ و حدة في الذهن و صفاء قريحة و استقلال تفكير و سعة اطلاع و غوص على المعاني الدقيقة و صياغة لها في أحسن لفظ و أجمل بيان "[2]نستنتج مما سبق أن النظام كان على دراية واسعة و الاطلاع على غموض المعاني ،و صبها في أحسن لفظ و أجمل بيان . و يقول الجاحظ في ذلك "قيل لأبي الهذيل : إنك إذا راوغت و اعتللت و أنت تكلم النظام و قمت فأحسن حالاتك أن يشك الناس فيك و فيه فقال : خمسون شكا خير من يقين واحد "[3]يتضح مما سبق أن الشك سبب في اليقين الذي يقودنا إلى الصواب لذلك قال كثير في عبد الملك:

رَأَيتُ أَبا الوَليدِ غَداةَ جَمعٍ بِهِ شَيبٌ وَمَا فَقَدَ الشَبابا

فَقُلتُ لَهُ ولا أعيا جوابً إِذا شَابَت لِداتُ المَرءِ شَابَا

وَلكِن تَحتَ ذَاكَ الشَيبِ حَزمٌإِذا ما ظَنَّ أَمرَضَ أَو أَصَابَا[4]

و هكذا جاء منهج الجاحظ مطابقا لمنهج أستاذه و لاسيما في الركنان اللذان ارتكز عليهما الجاحظ هما الشك و التجربة التي كانت المفتتح في تأليف كتابه "الحيوان " و قد قدم النظام في هذه الركيزة و هي الشك مبتدئا للجاحظ طريقا علميا يسير وفقه " الشاك أقرب إليك من الجاحد ، و لم يكن يقين قط قبله شك ، و لم ينقل أحد من ا اعتقاد إلى غيره حتى يكون بينها حال شاك .

[1] –شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ،دار المعارف ، ط1 ،ص 106 .

[2]– رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 22.

[3]–الجاحظ ،الحيوان ،شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر ،ج 3 د ،ت ،ط 2 ،ص 60.

4ينظر : المصدر نفسه ، ص 60.

أولا: منهج الجاحظ في البحث و التأليف:

امتاز عصر الجاحظ بالنماء و الخصب و هيأت لأبنائه حركة التفكير التي عرفت في ذلك العصر ، و انفسحت فيه آفاق العلم و العلماء و حتى العباسيون عاشوا هذه الحركة مبتعدين عن التعقيد و الحدود السالفة ، فالجاحظ أنشأ في هذا العصر موسوعة علمية تحمل بين ثناياها معالم الحياة و تختزل خبرا ت عبقرية فذة ، فكتاب الحيوان كتاب علمي يسير وفق المنهج العلمي و هذا المنهج يحتذى به من قبل الكثير و يسير وفق منهجه مستخدما الشك المنهجي في التأليف بحيث اعتمد على التجربة و المعاينة ليثبت من صحة ما ينظر له .[1]

ثانيا : الشك عند الجاحظ

تضاربت الآراء حول منهج الشك الذي كان صفة خاصة عند الجاحظ ،فهو المؤسس الفعلي في هذا المذهب لذلك نسب إلى غيره مثل : "ديكارت و فرانسيس بيكون " ، فديكارت هو السباق إلى هذا المذهب أما الجاحظ فهو الريادة في مذهبه و هو الشك المنهجي ، فالشك عند ديكارت يختلف من حيث مبدئه و غايته و الظروف التي عاشها بالنسبة للبيئة و المحيط و هو نفس ما سار عليه الجاحظ أن منهج الشك لدى ديكارت هو السباق الفعلي لهذا المنهج و الجاحظ هو المتم له بحيث أن البيئة و المحيط هي السبب الوحيد لعلاقة التأثير و التأثر ، فلقد تأثر الجاحظ بديكارت ، فمنهج يمكن الاعتماد عليه في الدراسات العلمية الحديثة لأنه منهجا علميا دقيقا ،اعتمد الجاحظ على منهج الشك و جعله وسيلة في بحثه ، فالجاحظ لم يكن يعيش ظروف ديكارت و لم يتأثر بالمنهج الذي تأثر به ديكارت "المنهج العقائدي " [2]إن منهج الشك عند الجاحظ مذهبا علميا يقتصر على التحليل من كل ما هو قديم و ما هو ديني ، فهو لم يكن ملحدا و لا متمردا فالجاحظ إذن رائد في منهجه و لم يتخذ الأدب وسيلة للتطرق و إضعاف الحق و كان هدفه و غايته الوصول

[1]-رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 19- 20

[2]-ينظر :المصدر نفسه ، ص 20

إلى البحث العلمي . يعتبر الجاحظ من أهم رواد المعتزلة " و كان علما من أعلامهم و كان في المدينة التي ظهر فيها مذهبهم ، و غلب عليه سلطان المعتزلة الفكري ، و كان من شيوخه النَظام " و قد أخذ عن " ثمامة بن الأشرس " و " بشر بن المعتمر " و بقي أحمد بن أبي دؤاد " حتى كان له دليل في مذهب المعتزلة ، و بعد دراسته للفصل الذي عقده في كتابه للشك أعطى دروسا في هذا المنهج فأعطى مواطن الشك و حالاته و ظروفه التي توجبه ، فادعى إلى مراعاة الحجج من الأمور و الثوابت التي لا يمكن أن يرقى لها الشك فاتخذه وسيلة للوصول إلى اليقين ، فكان للشك عدة حالات لابد للتعرف عليها و إبراز ما هو حري بالتصديق و الابتعاد عن الخرافات التي تورط فيها الكثير من المفكرين و منهم الثقات على حد تعبيره . لقد تأثر الجاحظ بأساتذة عظماء في منهجه في البحث و التأليف ،فمنهم أبي الهذيل العلاف و أستاذه النظام ، أما أبو الهذيل كان متميزا في البيان و الكلام و متصلا بالثقافة اليونانية ، كما تأثر الجاحظ في أسلوبه مستشهدا بالشعر العربي ، و يقول أبو عثمان الجاحظ في ذلك " و قلَ معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة و قرأناه في كتاب الأطباء و المتكلمين إلا و نحن قد وجدناه أو قريبا منه في أشعار العرب و الأعراب "[1]نلاحظ من خلال هذا القول أن الجاحظ عندما وزان بين كتابه للحيوان و مقارنته مع الفلاسفة لاحظ بأنه قريبا من أشعار العرب و الاعراب . حتى أخذ العرب يلمون بما لدى الامم المفتوحة من ثقافات متباينة ، و قد مضوا في هذا العصر ينقصونها و ينقلونها بكل موادها إلى لغتهم .[2]فلهذا السبب خطت الأمة خطوات جديدة في الحركة العلمية ، التي كانت سريعة في حركة الترجمة من العربية و عليها فتلفت الدعم من علمائها ، و لهذا كان إقبال الأمة على العلم و المنافسة فيه ، لذلك لم تعد الكتابة على الجلود و الورق البردي و قد تطورت و أصبحوا يستخدمون الورق ، و هذا سبب في التقدم العلمي و البلوغ في الحركة العلمية ن لذلك وجدت مصانع خاصة للورق كما قال "الفضل بن يحي البرمكي "أنشأ في عهد الرشيد مصنعا في بغداد للورق ، ففشت الكتابة فيه لخفته و غلبته عن الكتابة في الجلود و

[1] -الجاحظ ، الحيوان ، ج3 ، ص 268

[2] -شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي ، العصر العباسي الاول ، ص 98

القراطيس و كان الاملاء حينئذ أعلى مراتب التعليم " [1]نلاحظ مما سبق أن الورق غاية في تعلم الكتابة و تفشي ظاهرة الاملاء التي كانت سبب في التعلم و في هذا الصدد يقول شوقي ضيف " و كان من أهم الأسباب في بلوغ الحركة العلمية غايتها من هذه النهضة الواسعة استخدام الورق ، إذ أخذ يعم منذ مفتتح هذا العصر و كانوا قبل ذلك يكتبون في الجلود و القراطيس المصنوعة بمصر من ورق البردي " [2] يؤكد الجاحظ على أن التجربة وسيلة مهمة التي اعتمدها في كتابه و أنه المبدأ الذي يقوم على الشك قائلا "هذا الكتاب تستوي فيه رغبة الامم ، و تتشابه به العرب و العجم لأنه و إن كان عربيا أعرابيا و اسلاميا جماعيا ، فقد أخذ من طرف الفلاسفة و جمع بين معرفة السماع و علم التجربة " [3]يتضح مما سبق أن التجربة تقوم على الحواس و العقل كما جعل الجاحظ هذان الركنان الأساسيان في المعرفة ، كما تأثر الجاحظ بأرسطو لأنه اعتمد على التجربة و الاستنتاج و هذا ما يجعل الأمة بالنهوض كما دعا إليه القرآن الكريم و هو استغلال ما هو مفيد و موجود على سطح الأرض.

ثالثا: التجربة:

لقد أشار الجاحظ في كثير من المواضيع و حث العلماء و الناس بأن لا يصدقوا بكل ما يسمع و يجب أن تكون خاضعة للتجربة و الامتحان و البحث عن أصل هذه الحقائق ، فالجاحظ قام بعدة عمليات إحصائية ليبرهن عن مسألة مهمة لهذه التجربة . و أن يثبت أن عرق الخال أنزع من عرق العم و أن الأمهات ينجبن الاناث أكثر و الناس و الأمهات و جميع الحيوانات و يثبت هذه التجارب و الإحصائية . فالجاحظ يحث على ضرورة العلم أما كثرة الاستهتار بسماع الغريب و التعلق بالعجائب فهذا يقلل من همته العلمية لعبث جماعة لا تعرف قيمة العلم " فهؤلاء و ما أشبههم

[1] –شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأول ، ص 103

[2]–ينظر :المصدر نفسه ، ص 103

[3]–رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 28

يفسدون العلم ، و يتهمون الكتب ، و تغريهم كثرة أتباعهم مما تجده مستهترا لسماع الغرائب ، و مغرما بالطرائف و البدائع و لو أعطوا مع هذا الاستهتار نصيبا من التثبت و حظا من التوقي و سلمت الكتب من كثير الفساد " [1]يتضح من هذا القول بأن الذي لا يعرف قيمة العلم يكون عرضة للخطاء و المسلم بهذه الكتب و الاستماع على الغريب لسلمت الكتب من الفساد ." فهو يرى العلم ، و صحة النظر ، فوق كل اعتبار ، و لكبير عنده أمام النقد في ميدان الجدال و اخفاق الحق " [2] إذن العلم هو صحة النظرية أمام الناقد في ميدان البحث و اظهار الحق . عند دراسة المنهج العلمي عند الجاحظ و كما نعلم أنه عاش خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، و النصف الأول من القرن الثالث فمنهجه العلمي لا يكون دائما صائبا و ذلك بالمقايسة العلمية في كل عصر من العصور و ذلك بحكم الزمان و الظروف البيئية .[3] يصعب المقارنة بين آراء الجاحظ في كتابه الحيوان من حيث التشريح ووظائف الأعضاء ، و يحكم العلم الحديث و تطور الإنسان في هذا المجال و غيره و لكن هذا العلم الحديث أبطل الكثير من الأعضاء "أرسطو طاليس " و كذلك "جالينوس " في تشريح البشر . فرأي الجاحظ لم يكن علمه مختص في علم الحيوان و لم يكن العلم الحديث أن يعارضه و ذلك لبساطة أدوات بحثه و نفى أمورا قديمة سواء قام بها العرب أو اليونان و غيرهم فغوصه في أعماق الأشياء و التحليل و التجربة و الاستنتاج و البرهان ، ولهذا قال الجاحظ في تكوين فرخ البيضة " و يستبين خلق الفراخ إذا مضت لها ثلاثة أيام بلياليها ، و في ذلك شباب الدجاج ، و أما في المسان منها فهو أكثر . و في ذلك الوقت توجد الصفرة من الناحية العليا إلى البيضة عن الطرف المحدد و حيث يكون أوَّل نقرها ، فثم يستبين في بياض البيضة ، وهي تختلج و تتحرك ، و الفرخ إنما يخلق من البياض ، و يغتذي الصفرة ، و يتم خلقه لعشرة أيام . و الرأس وحده يكون أكبر من سائر

[1] –رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 30-31

[2] –ينظر :المصدر نفسه ، ص 31

[3] –ينظر :المصدر نفسه ، ص 32

البدن "[1]يتضح من خلال القول أن الجاحظ يتتبع مراحل تطور البيضة و كيف تنمو و تتطورٍ .أما ما يقابله في العلم الحديث ففي كتاب " علم الحيوان تحت عنوان " جنين أربعة و عشرين ساعة " يكون رأس الجنين واضحا في أدوار النمو الأول . و يبدأ تميزها بالأجنحة التي تبلغ أعمارها من 21-22 ساعة من الحضانة ، حيث يغلظ الجزء الأمامي للمنطقة الجنينية ، و يرتفع عن المستوى العام " للبروستدروم " وفي الجنين 24 ساعة يزيد ارتفاع هذه المنطقة الأمامية "[2]و العلم الحديث يقارن بين العلم الذي أتى به الجاحظ ، و هو مراحل نمو و تطور فرخ البيضة ، بينما العلم الحالي يبين تطور مراحل الجنين .فالجاحظ درس مجموعة من الحيوانات كالسمكة التي لها رئة و تتنفس و ذلك لرَد على سابقيه و معاصريه ، و يقول مؤلف كتاب علم الحيوان العام " تتنفس السمكة بأن تفتح فمها فيدخل الماءفي تجويف الفم ، و يصل منه إلى البلعوم ، ثم تغلق الفم ، فيندفع الماء من البلعوم إلى الأكياس الخيشومية، و من هذه الأكياس إلى الخارج عن طريق الفتوحات الخيشومية الخارجية "[3] يتضح مما سبق بأن السمكة تمر بمراحل عند التنفس فبدأها من دخولها إلى الماء و ما تقوم به في الماء ، فالجاحظ قام بتجربة تشريح السمكة فتوصل بأن السمكة لها رئة فهو رجل تجربة و عالم في علم الحياة . فالعلم الذي يدرس التجربة في المنهج العلمي ، الذي له عدة صعوبات و يعنى بخطة منهجية ، فمن الصعوبات أن يتحلى الباحث أو العلم بالأمانة العلمية بحيث تتألف هذه الموضوعات العلمية ، في الدقة و البحث و تكون مصحوبة بالصبر و الجد و التحلي بالروح العلمية التي تحتاج إلى الأدلة و البراهين ، فالجاحظ كان عالما مجتهدا و سار على دروب العلم طويلا ، و هذا ما حققه للبشرية كما أنه تعرض لبعض الأخطاء التي يمكن لكبار العلماء الوقوع فيها . فهو يجتهد فيصيب و يخطئ و يحكم لكل زمان وزمنه فمن الأخطاء العلمية التي أسرف فيها الجاحظ في ايرادها و توكيدها في التوليد الذاتي " الخلق التلقائي " فجاء العلماء ليثبتوا طريقة نظرية و ذلك لأنه كان مقيدا في عصره و زمانه و

[1]-رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية ، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 32

[2]-ينظر : المصدر نفسه ، ص 33

[3]-ينظر : المصدر نفسه، ص 33

بيئته . فقد نوع الجاحظ في التجارب العلمية مستخدما ماتوفر له من أدوات ، لذلك استعمل مواد كيميائية ليعلم مدى تأثرها على الحيوانات كما اعتمد على مادتي القطران و الكبريت في مبيدات لقتل النمل يقول الجاحظ " قالوا : و تقتل بأن يصيب في أفواه بيوتها القطران و الكبريت الأصفر و يدس في أفواه بيوتها الشَعر ، و قد جربنا ذلك فوجدناه باطلا " [1] يتضح من خلال القول أن الجاحظ عند استخدامه لهاته المادتين لم تكن لديه فعالية في قتل النمل .لقد اعتمد الجاحظ على مجموعة من التجارب ، فذكر أوجه الاختلاف و أوجه التشابه و صنف كل واحد على حدى ، فالجاحظ كان يستعين بالتجربة كما كان يلجأ إلى العلماء التقاة مثل "ابن أبي كريمة " لم يقنع الجاحظ بتصديق الخرافة و الأساطير فقد أستهزئ و انتقد العلماء الذين اتبعوا هذه الأمور ، فكان يدعو إلى الأخذ بكل دور المناط به في الحياة و إيمانه بالتخصص و هو ما كان يدين به فقال تعالى "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " [2]يدعو الله سبحانه و تعالى في هذه الآية إلى ترتيب المواقع بين الناس ، كما يدعو إلى أن يأخذ كل واحد دوره المحاط به في هذه الحياة . يقول ذلك واصفا ذلك الحوار الذي دار بينه و بين النجار " و مثل ذلك قول النجار كان عندي ، دعوته لتعليق باب ثمين كريم فقلت له : إن إحكام تعليق الباب شديد ، ولا يحسنه من مائة نجار واحد ،و قد يذكر بالحذق في نجار السقوف و القباب " [3]فهنا يبن النجار الذي تفنن في صنع السقوف و القباب.

رابعا: الشمولية

عندما نتحدث عن الشمولية في التأليف عند الجاحظ فنجده نابغا في علمه ، فأطلق عليه الكثير من العلماء و الادباء دائرة المعارف في عصره ، فقد اختلط الجاحظ بمجموعة من العلماء و المفكرين و غيرهم . فكتابه الحيوان كان شاملا و متنوعا فذكر الحيوان و الشعر و الخط والمذاهب و الديانات و الفرق الكلامية . كما كان كتابه موسوعة في الحياة فقد تطرق في كتابه إلى مجموعة من

[1] –رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 40

[2] – قرآن كريم، رواية حفص عن عاصم، سورة الأنبياء /الآية 7

[3] –ينظر :المصدر نفسه ، ص 42

الأبواب .إذن كتاب الحيوان لم يحصر صاحبه فكانت ثقافته في كل جزء من كتابه شاملا ينبض بالحياة ، ففي جانب العلم كما وصفه محقق " عبد السلام هارون " " الجاحظ فأمامك كتابه ينطق بين يديك بالقصد العلمي التفصيلي للحيوان جميعا ، و لكل مملكة من ممالكه و لكل جنس من أجناسه . فهو فضل للجاحظ على جميع من أسبقه أو عاصره ممن كتب في الحيوان و إن اعوزه بعض الترتيب و التهذيب فهو شأن لكل كتابة في أمر متشعب الأطراف ممدود النواحي " [1]نلاحظ من خلال القول أن كتاب الحيوان للجاحظ كان متشعبا و متنوعا في موضوعاته ، فالجاحظ لم يقتصر كتابه على الحيوان فقط بل تناول موضوعات مختلفة و في مجالات متعددة ، فيتحدث عن سرعة الصوت و الضوء و يحققها فيزيائيا و نجد الجاحظ في حيوانه يخوض في عالم الطب ، فكتب الوصفات الطبية و تحدث عن بعض الادوية و منافع بعض الأطعمة كما يسخر و يهزئ من بعض إشاعات الناس . كما تحدث عن أثر البيئة في التركيبة البشرية للإنسان ، و الناحية الجغرافية عن الظروف الطبيعية و الجوية الملائمة ، و تبيان خصائص كل بلد فذكر علاقة التأثير و التأثر , فالتربة تؤثر عن المنتوجات و المحاصيل . [2]فقد كان طبيبا نفسيا يشخص حالة الإنسان داخليا مثل الخوف و الفزع ، و خارجيا كأثر السم في الجسم و الرجل الذي عضته حية في رأسه فكل هذه الأسباب تؤدي إلى الوفاة . و يمكن القول في الشمولية هذا الكتاب و موسوعيته ، كما وصفه عبد السلام محمد هارون " بأنه متشعب الأطراف لما حاواه هذا الكتاب على أنه صورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي ، كما تحدث عن المسائل الفلسفية ، سياسة الأقوام و الأفراد و تكلم في نزاع أهل الكلام و سائر الطوائف الدينية و المسائل الجغرافية و خصائص البلدان و علاقة التأثير و التأثر مثل : تأثر الكائنات الحية ببعضها البعض ، الأجناس البشرية و تبيانها و القضايا التاريخية و الحديث في الطب و الأمراض ، و تحدث عن العرب و الأعراب و أحوالهم و عاداتهم و تقاليدهم كما تطرق في حديثه عن الكتاب العربي و حديث الرسول صلى الله عليه و سلم ، و مسائل الفقه و الدين كما جمع بين الشعر العربي

[1] -رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 44

[2] -ينظر :المصدر نفسه ، ص، ص 55-56

و نادره و جمع الأمثال و الأحاديث في البيان و نقد الكلام أما فكاهة الجاحظ فقد نثرت في الكتاب نثرا متمثلة فيما يروى من النادر أو يحكى من القصة " [1]نلاحظ من خلال هذا القول بأن كتاب الحيوان للجاحظ أنه غني بالمواضيع المختلفة و الشاملة للمحاور.

خامسا :الواقعية

لقد شهد الجاحظ مجموعة من الانقلابات و التغيرات في عصره ، فأنجز كتابه خلال سبعين عاما لذا تميز كتابه بإنتاج خصب و غزير ، نتيجة تمحيص و تحليل و يتعايش للجوانب الفكرية الإنسانية التي انبثقت حولها مجموعة من الأوضاع و المجالات الحياة المختلفة ، و هذا راجع إلى اهتمامه بدراسته و نقده و قدم نتائج مبنية على أسس عقلية و منطقية . و يستقرأ المظاهر المتنوعة في البيئة و المجتمع و يحللها تحليلا دقيقا ليخرج بصورة واضحة على الواقع المدروس بما فيها سلبيات و ايجابيات " بحالات تأثرت بها نفسه و هو بذلك مما ربط ماضي الأمة بمستقبلها و دينها بدنياها ، و تغمد للفرد أمانته ، أن يسمع الحسن و القبيح ، و إذا كنت ممن لا يتوقع من المصور أكثر من أن يصور لك ما يقع بصره عليه ، فأدب الجاحظ يصور لك في حدق و تدقيق ما وقعت عليه عينه و قلبه و حسه "[2] لقد ربط الجاحظ ماضي الأمة بمستقبله و تعمد افراط في الحسن و القبح . فالواقعية منهج اتبعه الجاحظ خدمة لأمانته العلمية و لموضوعاته ، كما ارتبط هذا المنهج بالواقع المحسوس . فقد كان الجاحظ " ينطلق في تفكيره من العالم المادي ، وليأخذ الخرافات و الأساطير و الغيبيات التي تنسجها المخيلات المجنحة بل يهاجمها و ينتقد القائلين بها " [3]نلاحظ من خلال القول أنه كان يعتمد على الواقعية أكثر من الخرافات و الغيبيات

[1]-رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 56

2 -ينظر : المصدر نفسه ، ص 58

[3] -ينظر: المصدر نفسه، ص 59

سادسا: الطب عند الجاحظ :

اهتم المسلمون بالطب كباقي العلوم الأخرى ، لأن الطب كان ضروري في حياة البشر و جعلوه فرضا و ذلك الاهتمام بصحة البدن و الحفاظ على الجسم ، قادرا على أداء أمانة الله و اتمام عبادته على أكمل وجه ، فقد حث النبي صلى الله عليه و سلم حيث قال " ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء " و هذا ما جعل بالأمة الاسلامية تحضي في حياتها بالعلوم العلمية و العملية ، و قد ساعدها في ذلك عدة عوامل التي جعلت هذا الطب في تطوير متزايد ، لذلك أنشأ أول بيت سمي ببيت الحكمة الذي أسسه المأمون ببغداد سنة 215هـ. فكانت مكتبته عظيمة التي استجلبت من كل مكان و التي تخص الطب ، فقد كان المأمون يرسلهم بالبعثات العلمية من العلماء لإحضار الكتب الطبية ، فكانوا يأتون بها من بلدان مختلفة كالهند و بغداد [1]. كما حضي الجاحظ في الساحة العلمية من أوسع أبوابها إذا كان له فروع في كل علم و معرفة ، كما ناقش الأطباء و كان معروفا على الصعيد الشعبي و الرسمي فناقشهم في الكثير من الأدوية و اتنقد موقفهم و كتب كتابا سماه نقص الطب كما ألف في الكتاب و في الجواري و في الغلمان و غيرها من الموضوعات التي أثارها أدب الجاحظ . بالرغم أن له كتاب نقص الطب لم يصلها إلينا إلا القليل و يتضح من خلال كتاب الحيوان أنه متعددالمواضيع و الجاحظ يعرض في كتابه ما يدل على الطب فهو يرى التربية الجسمية تقوم على التوسط و الاعتدال فيقول " اعمل و أنت مشفق و دع العمل و أنت تحبه " [2]العمل القليل و عدم الضغط حتى و إن تركت هذا يجعلك تحبه دون ملل .لقد تحدث الجاحظ عن طب الحيوان ، و مدى توفر بعض النباتات و الحيوانات على الفوائد التي تخدم مصلحة الإنسان في التداوي ، و التي تكون خاوية من المواد الكيميائية معتمدا على المواد الطبيعية و التي تتركب منها ، و تعم الفائدة على المريض و لن تسبب له

[1]-ينظر :المصدر نفسه، ص ،ص70-75

[2] -رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، ص 76

تسمما و لا ضرركما تحدث الجاحظ في كتابه على أنواع كثيرة من الأمراض و بعض الأدوية و معالجة هذه الأمراض ، و لقد فسر عدة أسباب لمجموعة من الأمراض كالعقم كما كان يحذر من بعض الأدوية و عدم تناولها على الأمهات لأن ذلك يعد بالسلب على الرضيع ، كما حث على تناول بعض الخضر و لما لها من فوائد جمة كما كان يأمر بالمعالجة بالحجامة . فالحجامة لها وقت محدود من الشهر ، فينقل أحدهم عن الحجامة يقول و حدثني ثمامة قال " مررت في غب مطر الارض ندية و السماء متغيمة و الريح شمال ، و إذا شيخ أصفر كأنه جرادة و قد جلس على قارعة الطريق ، و حجام زنجي يحجمها و قد وضع على كاهله و أخدعيه كل محجمة كأنها قعب و قد مص دمه حتى كاد أن يستفرغ ، قال فوقفت عليه و قلت ياشيخ : لم تحتجم في البرد قال : لما كان هذا الصفار الذي بي " [1] السبب الذي جعل هذا الشيخ يحتجم هو اصفراره الذي غمره لذلك مص دمه رغم الوقت الغير المناسب . فالجاحظ هو الطبيب الوحيد الذي عالج العديد من الأمراض . فكشف الداء ثم وجد له الدواء فبعرض بعض الفوائد و الأضرار التي ينتج من خلالها على الإنسان ، فهو يتحدث عن سم الأفاعي و العقارب و يفسر من خلالهما أثر دخول السم إلى الجسم ، و يذكر الأدوية المستعملة لذلك السم و هو يتحدث عن الترياق قائلا " و بالحية يتداوى سم الحية و لدغ الأفاعي يؤخذ بالترياق الذي لا يوجد إلا بمتون الأفاعي "[2] يتضح من خلال القول أن سم الحية يتداوى بالترياق الذي نجده في الأفاعي . كما يتحدث في هذا المجال عن علة قتل السم و كيف يتفاعل في جسم الإنسان ، فهو يناقش مجموعة من الاطباء و يحاوره عن مدى القيمة العلمية و الطبية و دلالاتها الكبيرة ، فذلك الحوار يضم النخبة و الفئة من أهل عصره . كما جاء في حديثه عن الحيوان فهو عالجها في مجموعة من النواحي . فتطرق إلى حديثه مثلا عن الكلب و تعرض الإنسان لعضة الكلب المصاب بذلك المرض فيلحق مجموعة من التغيرات التي تصيب الشخص المصاب فتخرجه عن طوره و طبيعته ، فلا بد

[1]-ينظر المصدر نفسه ، ص 82

[2]-رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص،ص 84-85

بالإسراع و تداوي معالجته لذلك قال " و حدثني أبو الصهباء عن رجل من بني سعد منهم عبد الرحمان بن شبيب قالوا : عض سنجير

الكلب فكان يعطش و يطلب الماء بأشد الطلب ، فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا لا لا أريد و هكذا يصيب صاحب تلك العضة "[1]إذن يتضح من خلال القول بأن أعراض داء الكلب و الاصابة به هي العطش الشديد مع عدم القدرة على تناول الماء مع شربه إن حضر .يتحدث الجاحظ عن عالم الحمام كما له أهمية كبيرة في زمنه بحيث كانوا يتاجرون به لربح الأموال ، بالإضافة إلى ذلك وسيلة لترفيه تحمل قيمة اجتماعية فعرض الجاحظ أمثلة عن عالم الحيوان قاصدا في ذلك اصلاح ذات البين بين الأزواج و يعدد الجاحظ الأمراض التي تصيب هذا النوع من الحيوان كمرض السل و الحرارة الزائدة التي تؤثر فيه .كما تطرق إلى مجموعة من الحيوانات فمنها القوية و الضعيفة فقد حارب الجاحظ مجموعة من الخرافات و المعتقدات التي كانت سائدة في عصره " و الناس يزعمون أن أكل لحمان الحيوان المذكور بطول العمر ، فصدق بذلك ابن الخاركي و قال : هذا كما يزعمون أن أكل الكلية جيد للكلية و كذلك الكبد و الطحال و الرئة و لحم ينبت اللحم و الشحم ينبت الشحم ، فغير سنة و ليس يأكل إلا قديد لحوم الحمر الوحشية و إلا الورشان و الضباب و كل شيء قدر عليه مما يقضي له بطول العمر فانتفص بدنه و كان يموت فعاد بعد إلى غذائه الأوَل "[2]يتضح من خلال القول أن الجاحظ يعدد بعض الفوائد الموجودة في الحيوانات . فتميز العصر العباسي بالعلوم العقلية التي جاء بها الأطباء و الذين كانوا يتنافسون في ميدان العلم و الطب. لذلك قال الجاحظ "و زعم لي بعض الأطباء مما أصدق خبره ،أن الشفنين إذا هلكت انثاها لم يتزوج فإن طال عليه التعزب "[3]

[1] –رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 86

[2] –رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 100

2 –ينظر المصدر نفسه، ص 101

يتضح من خلال القول أن هناك بعض الحيوانات إذا تعرض أحد الطرفين إلى الاصابة فإنه لا يتزوج بعده.

سابعا: الجاحظ عالم نفس :

يعد ابو عثمان من أهم الأعلام ، الذين أبدعوا في هذا العلم فصور و رسم ثقافة هذا العصر فلم يترك شيئا إلا تعمق فيه و رصد سلوك الحيوان .فقد درس مجموعة من النظريات النفسية التي تحدد سلوك الإنسان فمثلا يشرح و يحلل نفسية الحاسد مثلا تحليلا عميقا ،يشرح ماهية الحسد أسبابه و ما ينتج عنه من عدواة و بغضاء ثم يبين طرق معالجته حيث يقول "و الحسد –أبقاك الله –داء ينهك الجسد و يفسد الود ،علاجه عسر ،صاحبه ضجر و هو باب غامض و أمر متعذر امنه تتولد العداوة هو سبب كل قطيعة و منتج كل وحشية ..."[1]

نستنتج من القول بأن الحسد ظاهرة نفسية تصيب الإنسان و ذلك لما تتركه من آثار سلبية و يمكن محاربتها بالعلاج ، كما اجتهد الجاحظ في علاج هذه الفئة الحاسدة و يكشف النتائج المرئية عنها و أن صاحبها يصاب بشيء من اليأس و القنوط "متى رأيت حاسدا يصيب لك رأيا ،و إن كنت مصيبا ، أو يرشدك إلى الصواب "[2] الجاحظ عالم نفساني فهو يدرس و يشخص حالة الإنسان من خلال كلامه و تعامله مع الناس و كان قوي الشخصية يحكم على بعض القضايا المستعجلة بدون شفقة و لا رحمة في تعريفه .على بعض صفات الناس فمثلا شخص حالة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يخاف من الموت كثيرا ،فالحجاج أخفى ذلك الخوف و حاول دفنه بالسلف و القسوة.

3-ينظر :المصدر نفسه ،ص،ص، 102،103،

4 -رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص 104

ثامنا :علم نفس الحيوان

لقد قارن الجاحظ بين الإنسان و الحيوان ،فتوصل إلى أن الفرق بين هذين الكائنين هو العقل و هي خاصية عند الإنسان فهو يبني أفعاله و تكون مصحوبة بالتدبر والذكاء ،كما رصد بعض الشخصيات المتقاربة بين أفعال البشر و الحيوانات و هي الخير و الشر ،فالغريزة الحيوانية تسير وفق الحيوان إلى أن هناك بعض الحيوانات تكون لها قابلية للتعليم و التدريب كالحمام الذي كان يستخدم للبريد، كما تمكن الجاحظ من وضع تجربة على بعض الحيوانات و توصل إلى أنها تمتلك الذكاء إلى جانب و الغريزة و أن هناك لغة مشتركة بين الحيوانات و ذلك التواصل و التفاهم بين بعضهم "و لها منطق تتفاهم به حاجات بعضها إلى بعض. و لا حاجة بها إلى أن يكون لها في منطقها فضل لا تحتاج إلى استعماله. كذلك[1] معانيها في مقدار حاجاتها "1

نستنتج من القول أن هناك بعض التصرفات التي تقوم بها الحيوانات و ذلك لتتواصل مع غيرها و تلبية حاجياتها اليومية ،فالجاحظ اقتبس من القرآن الكريم قصة سيدنا سليمان عليه السلام ،الذي تحدث مع مجموعة من الحيوانات كالنمل و غيره. كما تمكن الجاحظ في الغوص في كل من الربط بين عالمين مختلفين هما عالم الإنسان و الحيوان .

1- رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص 121

الفصـــــل الثّاني

الحياة الثقافية

لقد أوردت الباحثة في الفصل الثاني تمهيدا عن الحياة الثقافية الذي استخلصته من منظور الجاحظ، ضمن ثلاثة عناصر وهي كالتالي: نظرة الجاحظ للكتاب الترجمة،اللغة عند الجاحظ .ففي هذا العصر "أخذ العرب يلمون بما لدى الأمم المفتوحة من ثقافات متباينة ،وقد مضوا في هذا العصر ينقصونها و ينقلونها بكل موادها إلى لغتهم ،و نهض التعليم حينئذ نهضة واسعة،"[1] ذهبت الكاتبة إلى أنَ الجاحظ قد احتج على وضع الكتاب و أرجعت ذلك إلى وضع أسس الحرية الفكرية و بواعث الامتزاج الثقافي ،و استشهدت بقوله: "ينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا ،كسبيل من كان قبلنا فينا ،على أنَ قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ،كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا .فما ينتظر العالم بإظهار ما عنده ،و ما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه ،و قد أمكن القول و صلح الدَهر .و خوى نجم التقية و هبَت ريح العلماء ،و كسد العيَ والجهل و قامت سوق البيان و العلم"[2] و نلحظ هنا ان الجاحظ يدعو الكتاب إلى الاقتداء بمنهج القدماء و الأخذ بعلم السابقين في سبيل الدفع بحركةالتأليف إلى أفق ثقافية جديدة ،فبالعلم وحده تقوم ثقافات الأمم و تسمو مكانتهم كما تحدثت الكاتبة عن وصف الجاحظ لصفة الشمولية في العلم و الثقافة إذ يتوجب بأنَ يتوفر في المثقف صفة الإلمام الثقافي لتحقيق متطلبات العصر. و هنا يقول الجاحظ "فقد احتل الشعر مكانة كبيرة في حياة العرب الثقافية ،و قلما يوجد باب من أبواب الحياة إلا عبروا عنه بأبيات من الشعر ،فالشعر ديوان العرب ،و الشعر العربي يتضمن مقاصد مختلفة ،تدل على أن الشعر كان يعبر عن الواقع

[1]-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف، مصر /1966م،ص98

[2]-رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص133

الاجتماعي"[1] و مما لا شك أن لشعر مكانة خاصة عند العرب فقد احتل الكلام الموزون المقفى ذو معنى مقاصد الكلم إذ كان يعكس وا قعه.

حيث "أقبل الفرس على التعرب إقبالا منقطع النظير ،فقد أكبوا على تعلم العربية حتى أتقنوها و اتخذوها سريعا للتعبير عن عقولهم ووجدانهم بحيث لانكاد نتقدم في العصر العباسي حتى يصبح جمهور العلماء و الكتاب و الشعراء منهم "[2]و يعد الجاحظ من أبرز الكتاب.

"فقد كان هو يبتكر ويجدد،و يطرق نواحي مجهولة من جوانب الثقافة العربية فكتب في الطب و الظواهر الجوية و الطبيعية و الأخلاق ،وعلم النفس ،وألف في المعادن و الأصباغ ،كما ألف في التجارة و الاقتصاد و في النبات ،و الحيوان وله معارف بحرية عزيره"[3]

وتقر الباحثة بنبوغ الجاحظ و تميزه عن معاصريه فقد كان ملما بعلوم عدة نذكر منها :الطب ، الظواهر الجوية والطبيعية و الأخلاق و علم النَفس ...و في النبات و الحيوان وله معارف غزيرة فبهذا تكونت ثقافته الموسوعية و الاستطراد وبذلك قد عد من أهم الكتاب و المؤلفينفي عصره .

[1]-رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص135

[2]-شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأول ،دار المعارف ،مصر،ط7،د.ت،ص91

[3]-ينظر: المصدر السابق ص137

أولا: نظرة الجاحظ للكتاب

لقد تحدثت الباحثة في فصلها عن الكتاب و الكتابة ،فكان لهذا الكتاب مكانة عالية و مرموقة في كتابه الحيوان ،و رافق الجاحظ كتابه منذ الطفولة وحتى الوفاة و مما لاشك أنَه يعتبر قامة من قامات الأدب العباسي خاصة والعربي الإسلامي على وجه العموم فبوفاته فقدت الكتابة رونقها وتألقها حينذاك.[1]

إنَ الله سبحانه وتعالى نعت القرآن الكريم باسمه كتاب﴿الٓمٓ (1) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[2] إنَ الله سبحانه و تعالى قد أعطى للكتاب أهمية عظيمة و جعله قداسة للمعلم و المتعلم ،كما ورد في عدة مواضيع من كتاب الله تعظيما لشأن الكتاب المنزل من عنده .

و عند نشر الدعوة الاسلامية وردت أسماء الكتب مثل الكتابة و التدوين كان منذ نشوع الدولة ،و نجد من أعظم الشواهد حيث قال ﴿اقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾[3] قد أشار الله تعالى في هذا القول إلى فضل القراءة و الكتابة كما أطلق عليه "كتاب الوحي "،و كانت هذه الآيات هي مفتاح الوحي و قد اختارها الله تعالى ليصف بها ملائكته الأبرار ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ (10) كِرَامٗا كَٰتِبِينَ (11)﴾"[4]

[1]-رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص 138

[2]-سورة البقرة/ الآية 1

[3]-سورة العلق/ الآية 1-5

[4]-سورة الانفطار/ الآية 10-11

ثم أقسم سبحانه بآلة الكتابة "ن*و القلم وما يسطرون "[1]

كما حثنا الرسول عليه الصلاة و السلام على تقييد العلم و المعرفة و الكتابة ،و من هنا تتبين لنا أهمية الكتابة و الكتاب ،فنجد الجاحظ يدافع عن الكتاب مستشهدا بأقوال الشعراء و الحكماء .فقد برزت الكتابة تعلو شيئا فشيئا مع انتشار الحركة العلمية فكلما زاد الطلب على الكتاب زاد الطلب على الورق "و قامت في البصرة سوق للوراقين منذ أواسط القرن الأول الهجري ،و كذلك أخذت الكتب تنتقل من طور التدوين المطلق ،و أخذ العلماء يتجهون بعلمهم إلى تلاميذهم و قرائهم معا. كما أخذ الوراقين يلتمسون من كل سبيل مادة صناعتهم ،فيجمعون منهناو هناك،ما يرونه جديرا بإقبال الناس عليه "[2] نلاحظ من خلال هذا القول انتشار الحركة العلمية و تطورها في البصرة ،فكان إقبال الناس على الكتب و الورق فنرى ازدياد في حركة الترجمة التي أخذت تنقل أمهات الكتب اليونانية و الفارسية و السريانية ،كما نقل ابن المقفع الأدب الكبير و الأدب الصغير و كتاب كليلة و دمنة ،فقد شغف الجاحظ بكتابه رغم أنَه عاش في أخصب البيئات التي أثرت على حياته العقلية و أسهمت في ثقافته "كماكانت هذه البيئة من أعظم البيئات أثرا في حياته العقلية ،و في توجيهه تلك الوجهة"[3]نلاحظ من خلال هذا القول أنَ الجاحظ قد عاش في بيئة صعبة الظروف رغم أنَه كان يعزز كتابه و جعل له مكانة عالية .

فنجده يقدم نصائح للقارئ حيث جعل لها مكانة عالية فرتب الكتب حسب الأهمية ،كما أنَه متعلق بكتابه و يجري المقارنة بين الكتاب و صاحبه "و الكتاب

[1]-سورة القلم /الآية 1-2

[2]-رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص140

3-ينظر: المصدر نفسه ،ص143

قد يفضل صاحبه و يتقدم مؤلفه ،و يرجح قلمه على لسانه بأمورمنها :أنَ الكتاب يقرأ بكل مكان ،ويظهر ما فيه على كل لسان ،و يوجد مع كل زمان ،على تفاوت مابين الأعصر ،و تباعدمابين الأمصار ،و ذلك أمر يستحيل في واضع الكتاب ...و قد يذهب الحكيم و تبقى كتبه ،و يذهب العقل و يبقى أثره..."[1]

و منه فإن نظرته كانت إيجابية لا سلبية فنجده يصف الكتاب و صاحبه ،فكلما ذهب صاحبه بقيت وراءه أعمال و كتب عظيمة ذات قيمة بما فيها من فوائد جمة للقراء و الكتاب كما عدد مزايا الكتاب .كما ألقى عدة مقارنات بين الكتاب و إلا نسان و بين الكتاب و الفن و بين الشعر و الكتاب ،فقد أشار إلى عالمية الثقافة في الأمة كما امتدح كتابه بإعجاب و اسهاب من المعرفة و العلم"و الكتاب هو الذي يؤدي إلى الناسكتب الدَين ،و حساب الدواوين مع خفة نقله ،و صغر حجمه ،صامتا ما أسكتَه،و بليغا ما استنطقته و من لك بمسامر لا يبتدئك في حالة شغلك ،و يدعوك في أوقات نشاطك ،و لا يحوجك إلى التجمل و التذمم منه ،و من لك بزائر إن شئت جعل زيارته غبَا ووروده جسما "[2]فمن خلال القول الكتاب خير جليس لصاحبه فهو يساعده في أوقات الفراغ و التمتع بالقراءة و المطالعة .

ثانيا: الترجمة

أما في هذا العنصر فنرى الجاحظ يدعو أهل عصره و مجتمعه حثا شديدا على اقتناء الكتب ،حتى برزت حركة الترجمة فكانت ذو ثقافة على العصر العباسي بشتى العلوم و الكتب المترجمة .ففي صحيح الترمذي عن زيد بن ثابت

[1]-رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ص ،ص148-149

[2]-ينظر :المصدر نفسه ،ص153

قال "أمرني رسول الله – صلى الله عليه و سلم –أن أتعلم له كتاب اليهود قال :إني و الله ما آمن يهود على كتاب فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له ،قال :فلما تعلمته كان إذا كتب يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم "[1] أراد زيد بن ثابت من خلال هذا القول أن يبين لنا مدى أهمية تعلم كتاب اليهود و قراءته فطلب منه الرسول صلىالله عليه و سلم بقراءة كتبهم . فنجد عدة ترجمات كترجمة "كتاب أهرن في الطب "على يد "ماسرجويه "،كما عاش العصر العباسي تعدد الثقافات و ازدياد دائرة المعارف و اتساع علمهم في شتى الميادين عند الأمم الأخرى ،لأن دولة بني العباس في عصرها الأول أطلق عليها اسم عصر الجاحظ ،كما كان لها تشجيع كبير من طرف الخلفاء العباسيون حول حركة الترجمة "إذ كانوا يشجعون الحركة العلمية في نواحيها المتعددة و يمدونها بمالهم و جاههم و يولون العلماء أحيانا المناصب العالية ،ثم حذا الأمراء و الوزراء حذو الخلفاء في ذلك"[2]فبهذا نلحظ تشجيع للحركة العلمية من طرف الخلفاء و الأمراء و الوزراء .فنلحظ اهتمام كبير في العصر العباسي كما كانت لديهم رغبة بالنهوض في العصر ،فكان أول خليفة عباسي أبو جعفر المنصور من بعد أبي العباس السفاح .كما نشطت حركة الترجمة في عهد الخليفة هارون الرشيد ووزرائه البرامكة ،و من أشهر المترجمين في ذلك العصر "يوحنا بن ماسويه" الذي كلفه هارون الرشيد بترجمة الكتب الطبية القديمة "مما وجد بأنقرة و بلاد الروم حين افتتحها المسلمون و نصبه أمينا على الترجمة ،ووضع له كتاب حذَاق يكتبون بين يديه ،و قد عاش طويلا وله مؤلفات كثيرة في الطب و تركيب الأدوية "[3]نلاحظ

[1]-رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص160-161

[2]-ينظر: المصدر نفسه ،ص162

[3]-رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص 163

من خلال هذا القول أن ترجمة الكتب الطبية لها دور بارز في الكتب المترجمة حاليا ،كما قام يوحنا بن ماسويه بترجمتها و عمل على تركيب الأدوية .إذ شهد هذا العصر تعددا في الملل و النحل و الصراعات العقدية و المذهبية ،و تنوع فكري و ثقافي كالملبس و المأكل و المشرب و العادات و التقاليد ،فكان الجاحظ خائفا و حريصا على دينه و لغته فشكلت حركة الترجمة دورا مهما اتكأعليه أبناء هذا الشعب مثل :الفرس،الروم ،الهند ،السريان ،النصارى ،اليهود ،المعتزلة ،الإباضية ، الشيعة ، الزنادقة ، البرامكة وغيرهم من الفرق إضافة إلى بعض المدارس التي كان لها دور كبير في حركة الترجمة كمدرسة "جند نيسابور "التي أسسها "كسرى أنو شروان " كما كان لها دور في نقل التراث اليوناني ،و أيضا المدارس العلمية تكون على شكل حلقات علمية في "حرَان" و "الرها" و " نصيبين "و غيرها و كان مترجمها من المسيحين السريان .[1]

فبفضل الخليفة هارون الرشيد و البرامكة كان هناك تشجيع ونشاط واسع لهذه الترجمة من الباحثين و المترجمين ،كما قاموا بجمع الكتب و ترجمتها لإحياء العلوم القديمة .فمن أبرز المترجمين "محمد بن جهم البرمكي "و " زادويه بن شاهويه "فالجاحظ نشأ في دكاكين الوراقين غير أنَه أفنى حياته بين جل الكتب ،كما دافع عن الاسلام و العروبة فكان صاحب رسالة "و نقرأ ما خلفه الجاحظ فنحسب بأنه يعيش بيننا واحدا منا يعاني ما نعانيه و يحس بالخطر الذي نحس به "[2]أن الجاحظ ترك وراءه أعمال و كتب للذين أتوا بعده ،ظنَوا أنه يعيش معهم من خلال قراءتهم لكتبه رغم معاناته غير أنه كان يكتري دكاكين الوراقين .كما ظهرت الإفادة الإيجابية من بعض الثقافات الأجنبية مثلما رأى الجاحظ في

[1]-ينظر :المصدر نفسه ،ص164

[2]-رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص 166

الترجمة على أنها أمانة تؤدى على أحسن وجه ،وقف الجاحظ إزاء أرسطو في كتابه الحيوان على ما عرضه من حقائق متقصية حيث كان حذرا في إقباله على الثقافات الأجنبية " وزعم صاحب المنطق ،في كتابه الحيوان ،أن ثورا فيما سلف من الدَهر سفد و ألقح من ساعته بعد أن خصي ،فإذا أفرط المديح و خرج من المقدار ،أو أفرط التعجب و خرج من المقدار –احتاج صاحبه إلى أن ينبه بالعيان ،أو بالخبر الذي يكذب مثله ،وإلاَ فقد تعرضت للتكذيب .و لو جعلوا حركتهم خبرا و حكاية ،و تبرؤا من عيبه –ماضرهم ذلك أصون لأقدارهم ،وأتم لمروءات كتبهم "[1] و مما سبق يتضح لنا استناد الجاحظ على المنطق الأرسطي في عرضه للحقائق حول كتاب الحيوان .و هذا ما دفعه إلى السخرية بالمترجمين حتى وصل به الأمر إلى حد اليأس و التعب من المترجم الحاذق الذي يقدم الترجمة الصحيحة بكل احترام و خصوصيات "إنَ الترجمان لا يؤدي أبدا ما قاله الحكيم على خصائص معينة و حقائق مذاهبه و دقائق اختصاصه و خفيات حدوده ،و لا يقدر أن يافيه حقه أو حقوقه و يؤدي الأمانة فيه و يقوم بما يلزم الوكيل " نلحظ وفق قوله أن الترجمة تؤدى على أحسن وجه بما فيها من خصائص يلتزم بها كل مترجم .فانتشرت المعرفة و الثقافة من خلال حركة الترجمة و لاسيما في الأواسط العامة من علماء و أدباء و مثقفين ،فقد بلغت هذه الترجمة الذروة العلمية " و نتيجة هذه الترجمة الفاسدة أساء الفلاسفة العرب الأوَلون فهم آثار اليونانيين فعزوا إلى "أرسطو"[2] مثلا بعض كتب أفلاطون "و قد عرفت الترجمة المغلوطة ازدراء الجاحظ و إساءة فهم بعض الفلاسفة ،حيث كان نقده للمترجمين مجرد معرفة دقيقة كما لاح في كتابه الحيوان و كأنه لم يترك كتابا مترجما إلى اللغة العربية

[1]–رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ،ص 169

[2]– ينظر: المصدر نفسه ، ص 170

و لاسيما الكتب المترجمة في الدولة، أنَ الجاحظ قد توصل ما لم يتوصل له غيره في الترجمة حيث كان رأيه "غاية في السدادة و الحكمة ،و هو يحلل لنا مشكلات حار فيها العلماء و المفكرون ،عندما رأى التباين الظاهر الذي وقع في الشروح و الحواشي و التعليقات و التفاسير و التأويلات التي و ضعها أهل البحث و أرباب النذر أمثال "الفارابي "و "ابن سينا "و "الغزالي "على كتب "أفلاطون و سقراط و فيثاغورس "و غيرهم من كبار الفلاسفة ،مما جعل علماء هذا العصر يشكون في صحة ترجمة تلك الكتب ،و لا يرونها نقلت إلينا علومهم على الصحة و الصواب "[1]و هنا كان الجاحظ سديدا في تقديم أرائه حول الترجمة بما فيها من الشروح و التعليق و التفسير فنرى بعض الفلاسفة و العلماء يشكون في صحة هذه الترجمة للكتب .فقد نجد الترجمة في كتب الهند كما ترجمت الحكم اليونانية فمنها ما حسنت و منها ما نقصت ،كما دعا الجاحظ إلى ضرورة التخصص في مجال الترجمة ،فأسلوب الاستفهام عند الجاحظ جاء بغرض الاستنكار كما عمل على ايصال المادة العلمية بلغة سليمة أمام القراء و الدارسين فأنه عني بالاهتمام و العناية بقارئه حيث وجهت هذه الكتب المترجمة إليهم للاستفادة من المادة العلمية .تخضع ترجمة المادة للتمحيص و التدقيق و التدريس بشمولية وجيزة ،و يمكن القول أن الجاحظ كان ذروة حاصلة من الرواد الذين نظروا لها ،كما كانت قواسم مشتركة بين العرب و الشعوب المستعربة في العصر العباسي و جميع الميادين سوآءا سياسيا أو اجتماعيا أو ثقافيا ...خاصة على الفريقين من حيث الجاب العربي أو الجانب الأعجمي . [2]

[1]-رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ هـ ،ص171-172

[2]-رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، ص 179-180

ثالثا: اللَغة عند الجاحظ

تعتبر اللغة عند الجاحظ الوعاء الذي احتوى الكتاب بقطع النظر عن جنسه عربيا أو أجنبيا ،فقد حافظ على لغته و عبقريته حتى تصبح اللغة العربية لغة رسمية .[1] كانت اللغة و ما تزال مجال أبحاث عدة علوم ،منها اللسانية و علم الاجتماع و علم النفس ،و الطَب (دراسة الآلة المصوتة)و لذلك أعطيت تعريفات مختلفة باختلاف العلوم التي ينظر منها إلى اللغة .و من هذه التعريفات أنَّها "مجموعة الألفاظ و القواعد التي تتعلق بوسيلة التخاطب و التفاهم بين جماعة من الناس ،وهي تعبَر عن واقع الفئة الناطقة بها ،و نفسيتها ،و عقليتها ،و طبعها ،و مناخها الاجتماعي و التاريخي " أو هي "مجموعة مفردات الكلام و قواعد توليفها التي تميز جماعة بشرية معينة تتبادل بوساطتها أفكارها و رغباتها و مشاعرها "و لعل من أشمل تعريفاتها التعريف القائل "اللغة ظاهرة بسيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة ،لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية ،اكتسبت عن طريق الاختبار ،معاني مقررة في الذهن ،و بهذا النظام الرمزي الصوتي ،تستطيع جماعة ما أن تتفاهم و تتفاعل " [2] اهتم الباحثون منذ أقدم العصور بموضوع نشأة اللغة ،ذلك أن اللغة من أهم المؤسسات الاجتماعية عند الإنسان ،و هي احدى مميزاته الرئيسة التي تميزه عن الحيوان ،و ربما كان موضوع نشأة اللغة من أقدم المشاكل الفكرية التي جابهت عقل الإنسان فكثرت البحوث فيه و تعددت الآراء بصدده.[3] فنجد تعدد الأصوات و اللَغات على حسب اختلاف الفئات و الأجناس ثقافة و فكرا ،فأمام العناصر المختلفة

[1]-ينظر :المصدر نفسه ،ص 181

[2]-إميل بديع يعقوب ،فصول في فقه اللغة العربية ،المؤسسة الحديثة للكتاب ،طرابلس ،لبنان ،ط1، 2008،ص 9

[3]-اميل بديع يعقوب ،فصول في فقه اللغة العربية ،المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس لبنان ،ط2008،1،ص ،ص9-10

فتسمع خليطا من الأصوات المتجانسة فكان هناك فضول لدى الشعوب العربية على تعلم لغة هؤلاء القوم من لغات و ثقافات متنوعة "فإن اللغة في المجتمع العباسي خلال عصر الجاحظ تمثل أصدق تمثيل صورة ما رأيناه من سمات تميز البناء الاجتماعي لهذا المجتمع ،و لما كانت عليه أحوال طبقاته و طوائفه و فئاته الاجتماعية ذلك أن هذه السمات تركت آثارا في الحياة اللغوية في ذلك المجتمع من خلال ما تحمله من مآثر تاريخية و ثقافية و اقتصادية[1] "نلاحظ من خلال هذا القول أن اللغة تمثل المجتمع العباسي كما أنها أصدق بؤرة من حيث تعدد الثقافات في المجتمع .فقد اعتبر العنصر الفارسي اللغة العربية أداة لتعبير عن الفكر و الوجدان ،فقد نصح الجاحظ العرب أن يميلوا إلى تعلم العربية لأنها تعتبر بحر واسع النطاق ،فسعى في كتابه إلى المحافظة على الفصيحة و صيانتها فكان لديه ادراك شديد على لغته بأن لا يمسها الفناء و الضياع فهي محفوظة بحفظ كتاب الله .فاستعمل الغريب في الألفاظ و التصنع فيها كالألفاظ السفلى بل كان يدعو إلى الرفعة و الشمولية في انتقاء الألفاظ .[2]

فعرف ابن منظور لفظة اللغة بقوله "اللغة من الأسماء الناقصة و أصلها لغوة من لغا إذا تكلم ،و اللغة: اللسن ،و المراد بها كلمة ،قال رسول الله صلى الله عليه و سلم –في آداب المسجد يوم الجمعة :من مس الحصى فقد لغا ،و من لغا فلا جمعة له ،لغا أي تكلم .إن أصل لغة يرجع إلى الكلمة اليونانية و معناها كلام و قد دخلت الكلمة إلى العربية في وقت مبكر .ثم تغيرت دلالة هذه الكلمة في العربية إلى أن حلت شيئا فشيئا محل كلمة لسان .[3] و حدَ اللغة " هي أصوات

[1]–رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص183-184

[2]–ينظر: المصدر نفسه ،ص185-189

[3]–صادق يوسف الدباس ،دراسات في علم اللغة الحديث ،دار أسامة لنشر و التوزيع ،عمان ،الأردن ،ط 1 ،2012، ص 13

يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " لقد أثار هذا التعريف دهشة الباحثين البعيدين عن نظور الحياة العلمية العربية ،لأنه يشمل معظم جوانب التعريف التي عرضها علم اللغة الحديث فهو يقترب اقترابا كبيرا من تعريفات المحدثين إذ يشتمل على أربعة جوانب هي :أن اللغة أصوات منطوقة ،و أن وظيفتها التعبير ،و أنَها تعبير عن أغراض ،و أنها متداولة بين قوم يتفاهمون بها .[1]فهذه هي الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرَفها و تتوسع التعريفات الحديثة ،فتعد اللغة كل وسيلة تفاهم ولا تقتصرها على الأصوات فحسب بل قد تدخلها قسمات الوجه و تغيراته ،و إشارات اليدين أو حركات الجسم و غيرها و الأفضل و الأسلم في تعريف اللغة أن نحصرها في الأصوات التي ننطقها ،لأن قسمات الوجه و تغيراته و الإشارات و حركات الجسم هي أمور محصورة و محدودة ،و لا تعبر عن مكنونات اللغة و شموليتها و عرفها ‘‘ابن الحاجب "بأنها :كل لفظ وضع لمعنى "أما تعريف "ابن جني "فيركز على الجوانب الآتية :أن اللغة "أصوات " فلا نعرف مثل هذا التعريف لها إلا في العصر الحديث و يكاد الباحثون اللغويون يجمعون على أن اللغة "أصوات "على اختلاف بينهم في التعبير عن هذه الكلمة .أما الجانب الثاني الذي يتضمنه تعريف ابن جني باللغة فهو الذي يشير إلى وظيفة اللغة ،وهيالتي ذكر ابن جني أنَها :يعبر بها كل قوم عن أغراضهم أي أن وظيفة اللغة عنده إنما هي "التعبير ".[2]فكانت اللغة كائن موجود في الكون كما تأثرت بظروف المتحدثين بها ،أي أن اللغة تحولت بتحولاتهم و تطورت بتطورهم فكانت الفصيحة سائدة في العصر العباسي فاستعملها المثقفون في كلامهم و كتابتهم ،كما نجد النقاد يتحدثون عن الفصاحة و البلاغة مما لهم أثر كبير في

[1]-ينظر : المرجع نفسه،ص 13

[2]-صادق يوسف الدباس ،دراسات في علم اللغة الحديث ،ص14

هـــذه الدراســـات البلاغيـــة و النقديـــة .فالفصـــاحة إذا كمـــا عرفهـــا الجـــاحظ لا تقتصـــر علـــى العربيـــة وحـــدها فكـــل لغـــة لهـــا فصـــحاء يفهمـــون اللغـــة و يحســـنون التعبـــير بهـــا فـــأدرك الجـــاحظ أهميتهـــا بمـــا لهـــا قـــوة و تـــأثير في نفـــوس الســـامعين .[1]و مـــن شـــروطها أن يكـــون الكـــلام خالصـــا مـــن ضـــعف التـــأليف و تنـــافر الكلمـــات كمـــا أشـــار إلى مفهـــوم الفصـــاحة بأنَهـــا "الوضـــوح و البيـــان "ثم اهـــتم بـــاللفظ و المعـــنى معـــا و كـــذلك تحـــدث عـــن بلاغـــة العربيـــة و نثرهـــا و خطبهـــا و شـــعرها و ترجمتهـــا ،فكانـــت الفصـــاحة أهـــم عنصـــر اهـــتم بـــه العـــرب منـــذ القـــدم ،فقـــد تـــأثر بمـــا حولـــه مـــن اللغـــات و لاســـيما اللغـــة الفارســـية كمـــا كـــان لهـــا أثـــر واضـــح .فكـــان لأهـــل البصـــرة ألفـــاظ دخيلـــة بســـبب التواصـــل بـــين الشـــعوب الأخـــرى فبقيـــت محافظـــة علـــى أصـــالتها ،كمـــا قـــدم معظـــم الشـــعراء صـــورة صـــادقة للفصـــاحة و البلاغـــة فلجـــأ الجـــاحظ إلى لهجـــات طبقـــات الـــدنيا في مجتمعـــه ، فـــذكر في كتابـــه "لهجـــة المتســـولين و أصـــداء اللصـــوص و الشـــطار ،كمـــا تـــأثر تـــأثرا ذكيـــا بالفارســـية و الثقافـــات الدخيلـــة فلكـــل شـــاعر أو أديـــب ألفـــاظ خاصـــة يتميـــز بهـــا عـــن ســـائر النـــاس و الأدبـــاء "ولكـــل قـــوم ألفـــاظ حظيـــت عنـــدهم ،و كـــذلك كـــل بليـــغ في الأرض و صـــاحب كـــلام منثـــور ،و كـــل شـــاعر في الأرض و صـــاحب كـــلام مـــوزون ،فلابـــد مـــن أن يكـــون قـــد لهـــج و ألـــف ألفاظـــا بأعيانهـــا ،ليـــديرها في كلامـــه و إن كـــان واســـع العلـــم غزيـــر المعـــاني ،كثـــير اللفـــظ "[2]فمـــن خـــلال القـــول أن كل فئة موجودة على الأرض لها لغة خاصة بها و تميزها عن سائر الأدباء.

[1] -ينظر :رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص، ص190-195

[2] -رابعة عبد السلام المجالي ،ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص .ص 200-208

الفصـــــل الثالث

الحياة الاجتماعية

تحدثت الكاتبة في هذا الفصل عن أهمية الحياة الاجتماعية في نظر الجاحظ ، كما تطرق إلى مناقشة معالم الحياة الاجتماعية ، فهو يحكي عن حياته و حياة مجتمعه .فالحياة في العصر العباسي شهدت تطورا كبيرا ، كما تطرق إلى الصراعات بين المجتمعات ، و حياة البرزخ "و تعدد الطبقات كما صور طابع و مميزات هذا العصر ، لاسيما الحياة الاجتماعية في كتابه الحيوان فهو عاش قرنين مختلفين من الزمن "[1]

يتضح مما سبق بأن الجاحظ صور لنا فئات و طبقات المجتمع و قيمته في عصره ، و حياته المزرية التي كان يعيشها الجاحظ ، و قساوة الحياة ، لتجعل منه أديبا ، و طبيبا ، و إنسانا عظيما ، فكان مغزاه الوحيد هو العلم و معبره في الحياة .

فلو تعرفنا على حقيقة المجتمع العباسي ، لابد من قراءة كتاب الحيوان للجاحظ لأنه كانت دراسته و أبحاثه و محور موضوعاته الرئيسية ، فهو مصور بارع و عرض تفاصيلها بكل دقة ، فعرض عدة أفكار و رؤى سلبية و ايجابية لهذا المجتمع ،كما اهتم بالأسرة و آثارها في تكوين المجتمع العباسي " فالجاحظ متفائل فهو لم يذكر سلبيات مجتمعه ، إلا و هدفه القضاء عليها . فهو رسم صورة طيبة للمجتمع ،و لاحظ مدى تأثر العرب من ثقافات و حضارات مختلفة " [2]

فهو نقل للعرب قيما تندثر في حين يعلو غيرها ، فهي تنتشر في المجتمع و ساحاته و يحث أبناء عصره فشن حملة عنيفة ، و أشعل حربا لا هوادة فيها و ما راج بينهم من سلوكيات خاطئة و أعمال مشينة

1- رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص ،ص 217 -218

2- ينظر : المصدر نفسه ، ص – ص 219 -220

أولا: الجاحظ عالم اجتماع :

تحدثت الكاتبة في هذا المحور ، عن مدى اهتمام الجاحظ بهذا العلم و مقوماته و احتياجاته "فمجتمع الجاحظ بهذا هو من أوحى إليه ذلك العلم ، فهو خرج من دائرة العدم إلى دائرة الوجود و التطور ، و التغيير و تتبدل من حال لآخر . [1]فقيمته و عاداته و تقاليده .

فالجاحظ يرصد و يلاحظ تغيرات مجتمعه و الخلل الذي أصاب هذا النظام الاجتماعي فهو أول من اهتم بالمجتمع و طبقاته ، و فئاته ، كذلك اهتم بأحوال الناس و اختلاف نمط تفكيرهم و اسلوبهم .كما لاحظت الكاتبة أن الجاحظ كان يعرض القضايا و يحاول حل مشكلاته فمن خلال هذه القضايا تمكن من اكتشاف ما يسمى بعلم الاجتماع ، كما أجرى داود سلوم مقارنة بين الجاحظ و ابن خلدون و توصل إلى أن زمن الجاحظ كان زمن يقظة ، و تفتح العرب على الثقافات المحيطة به ، و زمن ابن خلدون زمن نضوج و تكامل .[2]فالجاحظ أدى خدمة للانسانية ، و العلماء من خلال دراسته لعلم الاجتماع ، و ما توصل إليه من ملاحظات و إشارات ، فقد أشار الجاحظ إلى أن منهجه موزعا كما أشار إلى الملاحظات التي استهل بها كتابه الحيوان ، و هي احدى الأسس التي تبنى عليها هذا المجتمع .

كما تمكن إلى أن الناس بحاجة إلى بعضهم البعض و لا سيما في زمنه و مجتمعه فقبل أن يشير إليها في عالم الحيوان جعلها من مقدمات كتابه لدى أفراد مجتمعه .

1-رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 221

2-ينظر : المصدر نفسه ، ص 222

كما تحدثت الكاتبة عن طرق الجاحظ إلى مدى الناس إلى بعضهم البعض ، فهذا ما يدفعهم إلى التعاون و التآزر على بناء مجتمعهم . فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه .لا يمكن أن يعيش بمنعزل عن مفرده ، فهو دائما يحتاج إلى غيره كما وضحت أن الانسان علة مكانته ، و زاد ثراؤه و زادت شهرته ، "فالملك و السيد فكل هؤلاء بحاجة إلى بعضهم البعض . كما بين الله سبحانه و تعالى لم يخلق أحدا يستطيع بلوغ حاجة بنفسه دون حاجته إلى الآخر فالله سبحانه و تعالى له غاية و حكمة في بناء هذا الجنس .[1] لذلك فتح كتابه بمجموعة من الطبقات الاجتماعية ، كما للملك ، و الغنى ، و الفقير ، و تبين ضرورة الإنسان لحاجياته اليومية كالطعام ، و الشراب و غيره من الحاجيات التي تبقى محافظة عليه للعيش و الاستمرار ، فالهدف من وراء هذا التخالط و التحاور ، هو التواصل و التفاهم فيما بينهم " و معروفا لمواضع سد الخلة ، و رفع الشبهة ، و مداورة الحيرة" [2] فهو توصل كل هذا فهو استمد هذه الحكمة من مصادر كتاب الله ، فالجاحظ يطرح التساؤل كيف أن الناس جميعهم بحاجة دائمة إلى بعضهم البعض ؟ . فهو اعتمد على هذه الركيزة الاجتماعية ، للتآزر و التعاون ، لحل مشاكلهم الاجتماعية ، فهو يضرب مثلا من الحياة الاجتماعية التي تبين اختلاف و صنائع الناس في الطباع ، فكل واحد يخدم مصلحة الآخر .

فهذه حكمة الله سبحانه و تعالى و يغرس فيهم هذا التألف ، فتختلف مصالحهم من شخص لأخر ، و تعدد الطبقات فهو يعرض مجموعة من الملاحظات و الارشادات و يحاول مناقشتها و كيفية الوصول غليها ، عن طريق السعادة فهو يعرض رأيه على مجموعة من الشخصيات ، و يجعلها تتحدث على لسانه ، فالجاحظ أراد أن يوصل فكرته و يتقمصها و يجعلها تدور عبر الألسن .

- رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 223

[2] ينظر: المصدر نفسه ، ص 224 227-

فالجاحظ يقرر أن السعادة لايمكن أن تأتي بصحة البدن فقط ، و كثرة المال ، فهذه التغيرات يمكن أن تزول ، فهو يقسم الناس على هذا الأساس .لذلك يقول : "و من الناس من يقول : إن العيش كله في كثرة المال ، و صحة البدن و خمول الذكر 7.

فهو يغرو دائما إلى العلم و المعرفة ، و بين أن العلم هو سبب للرقي و السعادة كما ينفي وجود المال دون أن يلازمه عقل عالم ، مثقف ، يحسن التصرف ، فهو يرى صاحب المال الجاهل الذي لا يعرف استغلاله و ينفقه في أمور الدنيا الزائلة ، و أن العالم الأديب الفيلسوف غلى لذة العقل ، و كانه يجري مقارنة بين الإنسان الذي يملك المال و الإنسان الذي يملك العلم ، ليصل إلى أن لذة العقل ،و سمو النفس ، و تلك الروح . و بما أن الجاحظ كان صاحب منهج زاهد ، فهو كان يدعو إلى التمتع بملذات الدنيا و لكن دون اسراف و عدم الاشتغال بها.

فهو عاش في وسط مجتمع كانت ظاهرة الحسد منتشرة بكثرة ، فهو ميز و عين من الحسد . حسد الجاهل ، و حسد العالم ،كما أنه توصل إلى مجموعة من التساؤلات ، فلاحظ المحلل الاجتماعي خليل عمر يجيب على هذا التساؤل "فالحسد كما تعلم ظاهرة اجتماعية ، و تبرزها المتمايزات الاجتماعية ، المتمثلة في الأدوار و المراكز الاجتماعية التي تزيد من درجة الاصطراد بين الأفراد ، من أجل الوصول إلى مراكز أعلى و ثروة أكثر .[1]نستنتج من خلال القول بأن الحسد ظاهرة تمس مجموعة من المجتمع ، و هو صراع بين الأفراد للوصول إلى مراتب أكثر و ثروة كبيرة .

كما اعتبر الجاحظ هذه الظاهرة ، هو مرض نفسي يمكن معالجته .و ناقش هذه القضية لأنه يعرف طبيعة مجتمعه ، كما لاحظ أن حياة مجتمعه قائمة على الأرحام و الانساب و الروابط القبلية و أن ظاهرة الحسد طبيعة في البشر .

1-رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 228

كما حاول الجاحظ اصلاح هؤلاء الحاسدين، ولكنه فقد الأمل في ذلك، فالحاسد لا يمكن أن يصوب رأيا حتى لو كان يعرف الحل السليم، فلا يؤدي النصيحة لأحد ويسلط عينه على عيوب الناس متمنيا إزالة ما من به الله عليهم من نعمة واجبا زوالها. فهو تعب من هذه الظاهرة بالتعاون والألفة، ويحذر من عوامل الفرقة، فراح يصف الداء لهذا الدواء.

"فهو يرى بأن الشر لا يولد إلا الشر، كما تأثر بالفلسفة، والطب اليوناني، والحاسد يعيش تأرجح نيران في صدره وحرقتها كما أذا فيها لغيره"[1]

فهو يتأسف على هذه الظاهرة التي أصبحت تمس العلماء، فحاول أبو عثمان أن يرسى القواعد الاجتماعية، وذلك لحاجة الناس إلى بعضهم البعض، كما لاحظ أن ظاهرة الحسد تنشر العداوة بين أفراد المجتمع، فيسبب هذه العداوة هي مشاكلة في الصناعة والتقارب في النسب، وأسباب انقطاع العشيرة والقبيلة، وأن الفقر عدو للغني، فهو قد أتى بنماذج عن العلماء.

فالمجتمع الذي أراد الجاحظ هو الذي يسعى أهله إلى تحقيق خير أفراده، والحفاظ على حريتهم، " لذلك وضع في كتابه الحيوان فصولا متعددة في السلوك الخلقي داعيا إلى تمسك هذا المجتمع، وتميزه عن المجتمع المسلم عن غيره، ليذكرهم بدينهم والتمسك بالشيم الفضيلة كالكرم"[2]

فكان يواجه غزو والثقافة شاملة والتقليد الأعمى، كما يرى خطر على الأمة باتت خطر من أعداء الأمة انفسهم، فالجاحظ يبين بأن الانسان كائن اجتماعية لا يمكن أن يعيش بمنعزل عن الجماعة، فهو يبين قيمة الإنسان وإدراكه، فهو قادر على قيادة هذه الأمة وتأسيس مجتمع انساني، قادر على التعاون والمحبة بينهم، والابتعاد عن الحسد لأن هو الخطر الأكبر لهذه الأمة.

[1] رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، ص 233

[2] ينظر المصدر نفسه، ص 234،236

كما بين بأن الناس قد عرفوا قبائل العربية، فهذه القبائل كانت لديها مقومات العزة والافتخار بالملذات" والمذكورون من الناس بالكبر، ثم من قريش بنو مخزوم، وبنو أمية و من العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدس خاصة"[1]

يلاحظ من هذا بأن الناس نسيج متخالط من القبائل من قريش، ومنهم من العرب، هناك طبقيتين من القبائل فالفرس، فهم من تعالوا على العرب، وزعموا أنهم يمتلكون الشرف والحيلة ولا يمكن مقارنتهم بهذا وأتوا بشاهد لهو وهو شعر بشار، وغيرهم من الزنادقة، وأنهم مخلقون من نار، فحين أن العنصر العربي، خلق من طين ونار أشرف من الطين، فهذا السبب الذي جعل الناس على التفرقة ، والتنافر، والعداوة بينهم.

فهو يقرر بأن العلم، وحسن الإيمان هما حلان في إعادة المجتمع إلى الرشد والتواضع وحسن تعامله مع الآخر، كما تعلم الجاحظ أن يجالس أهل العلم ، وحسن الاستماع وان للعلم مراتب ومفاتحه العلوم النافعة، وذخيرتهم ضئيلة في ميادين العلم، والمعرفة فيقول"(ما أكثر من يضيق صدره لقلة عمله"[2].

فتلقي العلم دليل على الشرف النفس، كما يطرح العلم والدين وجعلهما عاملين من أهم العوامل، التي تسيطر على سياسة الأمور داخل المجتمع، كما ينبذ التفرقة والطبقية، والعنصرية، كملاحظة بأنه يدعو إلى العدالة الاجتماعية فالجاحظ بأسلوبه الذكي، وفكرته، يستخدم طريقتين، ليعرض أفكاره، ويصور حقيقة هذا المجتمع، ويناقش ويعرض لقضية المساواة والعدالة الاجتماعية.

كما لاحظ بأنه لا يوجد في نفسه في محاورة الناس على اختلاف طبقاتهم، كما يعوض من خلال كتابه الحيوان، متجاوزا لذلك عامله، وفي الوقت ذاته، ويعرض شواهد على التكبر وصورة

[1] رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص 238

[2] المصدر نفسه ، 239-242

المجتمع الذي يسوده التعاون، والوفاء، وقوة الروابط، بين مجتمع الحيوان ليتأسى على تصرفات البشر وأنه أقل شأنا من المخلوقات، كما لاحظ بأنه يعرض صورة المكر، والخداع، لتكون عبرة للبشر، ويحذرون منها، وهذا ما جعله ناقدا، ومشهدا من عالم الحيوان.

كما تمكنت الكاتبة بملاحظة بأن الجاحظ كانت له وجهة نظر مختلفة، أحيانا يكون ناصحا وعالم حكيما، وناقدا ساخرا، كما استعمل العواطف الدينية، مستعينا على كلام الله وحديث رسول صلى الله عليه وسلم، فهو يتحدث عن مجتمعه، وكأنه غريب عنهم، فهو حدد إيجابيات وسلبيات هذا المجتمع، كما بين بعض الأمراض الاجتماعية التي تخلق الفتن والعداوة" فالجاحظ لم يكتفي بوصف طبيعة المجتمع العربي وتحليله بل وصف الحيوانات التي تعيش معه وألفها باعتبارها تمثل إحدى عناصر الطبقة العربية التي يعيشها الإنسان العربي"[1].

كما أن للحيوان في حياة المجتمع العربي دورا عظيما، تنبه له الشعراء، منذ العصر العباسي فنظموا قصائدهم المطولة، فبقى هذا التقليد، حق في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بينهم شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، كعب بن زهير الذي كان ينظم قصائده ويعتز فيها للإسلام، ولرسول صلى الله عليه وسلم، كما كان للناقة وصف أبيات مطولة ووصف الراحلة، وذلك لما لها أهمية في القصيدة العربية .

كما رثى مالك بن الزبيب في صدر الإسلام لنفسه، ويحي العلاقة التي كانت سائدة بينهما ثم يصف حال جواده الذي فارقه، فالشاعر لديه، مشاعر حول الحيوان والاعتناء به فالحيوان علاقته بالإنسان علاقة عظيمة خاصة المجتمع العباسي، الذي كان يعتمد المجتمع عليه، وكان يشكل وسيلة كبيرة في الحرب.

[1] – رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص243

" فأخذ العرب يتسارعون بتسمية أبنائهم بأسماء الحيوانات، كما أبرزت الكاتبة لدور الجاحظ في أهمية الديك في تنظيم أوقات الناس"[1] فالعنصر الرئيسي في العصر العباسي هم العرب والفرس، كما ذكر مجموعة من الحيوانات كالكلب الذي كان رمزا للوفاء لذلك بينت الكاتبة جمع الجاحظ وربط العلاقة بين الانسان والحيوان.

إذن وفق الجاحظ في مزجه المبدع بين معطيات البيئة، فهو بذلك قد خلق أسلوبه الخلاق ويبتر نوعا جديدا من الفنون ويحول بالشر حتى يعالج به موضوعات الحياة بمفهومها الواسع، كذلك ابتكر نوع جديد من الأدب وهو الأدب الاجتماعي المعاصر.

ثانيا: البيئة عند الجاحظ:

لقد كان الجاحظ عالم واسعا، وذكرة واسعة، وخزنته من شؤون عالم قائم ليس ما كان يخص العصر العباسي فقط، أو الأمة العربية الإسلامية، بل كانت تحمل تاريخ أمة. كما ضرب بالمثل بالعصر العباسي، في اختلافها وتناقضها، كما تحدث في العلوم المختلفة التي شهدت التطور، والنمو. فكان يبحث عن الفكر النير، والثقافة المشرقة لأمته.

فكان يحذر من العواقب الوخيمة، التي تصيب مجتمعه نتيجة الشرور، ويسارع إلى بذر الخير في هذا المجتمع، داعيا إلى التعاون بين الأفراد، ممثلا تلك الحياة من الحياة الحيوانية، كما اكتشف البيئة المحيطة بالإنسان، والحيوان، جامعا عوامل الحياة، الهواء، التراب، الماء، ومدى ترابط هذه العوامل البيئة وأثارها في خلق الانسان، كما بين أثر هذه البيئة على الحيوان التي أوجدها الله لخدمة الانسان.

[1] – رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص254،256

فالكاتبة قد تطرق إلى أن الجاحظ قد تبين له أن الكون مسخر للإنسان كما توصل إن أن الانسان صورة عن عالم الأكبر، وأنه لا يستطيع أن يقلد كل ماهو موجود في الطبيعة،" فالإنسان هو المستهلك الوحيد، فهو يأكل ما تأكله الحيوانات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة"[1].

وأن الله سبحانه وتعالى عن الكائنات الأخرى بالعقل، فهو خليقة الله في الأرض، وأن العناصر الكونية البيئة، تخضع الإنسان يقع تحت تأثرها فلذلك سهل الطريق لابن خلدون. لاتساعه، ولإدلاله من بعده، كما تحدث عن البيئة وأثرها في علم الاجتماع. بعد الجاحظ بأربعة قرون.

" الإنسان كائن اجتماعي يتفاعل مع العناصر المحيطة به، وطبيعة العوامل البيئة التي تتعرضها"[2] .

ركز الجاحظ في حديثه على عوامل البيئة المختلفة التي تختلف تبعا لتضارب طبائع الناس وأخلاقهم وألوان بشرتهم.

فلقد لاحظ الجاحظ أن أصحاب البشرة السمراء، لديهم ميل ونزوع تجاه ذو البشرة البيضاء ، والشقراء. وربما العكس صحيحا في مثل هذا المجال، والناس يرحلون إلى مناطق الباردة، فقد أقر الله سبحانه هذه الطبيعة المتنوعة لدى بني البشر حيث قال تعالى:" **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** "[3].

فالمسؤول الأول في هذا التباين البيئي الذي شاءت حكمة الله سبحانه إيجاده هو مصلحة الكون وإعماره، فالله سبحانه وتعالى جعل هذا الاختلاف بين الشعوب لغاية واحدة وهي التعارف والتعاون.

[1] – رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، ص247

[2] –ينظر: المصدر نفسه ، ص 248-249

[3] – قرآن كريم، رواية حفص عن عاصم، سورة الحجرات، الآية، 12

كما قال سبحانه " **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** "[1].

فالبيئة تمثل مجموعة المثيرات التي يتعرض لها الفرد وعلى ضوئها يحدد نشاطه الذي يقوم به، وأن هذه المثيرات والعناصر التي تحيط بالمرء تتحكم بنوع الأنشطة ، التي يقوم بها ويمارسها ، فالبيئة تسيطر على الانسان منذ نشأته أولى، فالجاحظ لم يهمل أثر بيئة على الانسان ، فهو يتأثر بالظروف المناخية. فهي تؤثر وبشكل عام على الطبع والخلق وعلى اللون، كما إن البيئة تؤثر على ثقافة أهلها في اللغة وألفاظ، فالجاحظ يبرز أثر البيئة:" لا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي، فيفسد هاؤهم ويفسد تربيتهم، فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام، كما عمل ذلك في طباع الزنج، وطباع الصقالية، وطباع يأجوج ومأجوج"[2].

تؤثر البيئة على طباع الناس ، فالجاحظ أدرك ذلك الأثر، فالآثار البيئة التي تنتج عن طبيعة ذلك المناخ تنعكس سلبا على طباع أهل تلك المنطقة فهو يضرب المثل بذلك الزنج، فهو يذكر في كتابه الحيوان مجموعة من الحيوانات كالغراب الذي يمثل للتشاؤم، ضرب مثلا بالزنج، كذلك إن جاء يمثل الحمار لم يجد أفضل من الزنج مثلا.

كما لاحظت الكاتبة بأن للجاحظ كتب رسالته اعتذارا منه، لما كان أثقل به عليهم في كتاب الحيوان، فالبعض منهم يرجع إلى أن الجاحظ زنجي وأراد أن يمتدح عرقه وأصله الذي انحدر منه،

[1] – سورة الرعد، آية 4

[2] – رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، ص 250-251

فهو يدعو إلى المساواة، وأن رسالته هي الدعوة التي نادى بها القرآن الكريم، فهو يكره التفرقة بين الناس، بسبب ألوانهم متأثرا بالفكر الإسلامي . فهو يرى بأن الناس جميعهم إخوة.

كما تبين للكاتبة بأن الجاحظ قد وضح كيف أن البيئة بظروفها المناخية تخضع الفرد لها. وأن أثر البيئة تظهر بمرور سنة، أو سنتين، وربما أن الأثر يظهر عبر الأجيال المتعاقبة " وهذه الالتفاتة جديرة بالاهتمام في عملية التنشئة والتطبع"[1].

فيلاحظ هناك تغيرات البيئة لا تكون أبدا بنت ساعتها، بل أن آثارها بعيدة الغرور في المجتمع. فأثر البيئة الجغرافية على لون البشرة، فمثلا لاعتدال البشرة سمرة أهل بابل، حيث ان بشرتهم أعدل لون، ذلك مرجعه لاعتدال المناطق التي يقطنوها ووسيطها، ويقول في ذلك:" إنما صارت عقول أهل بابل وإقليمها فوق العقول، وجمالهم فوق الجمال لعلة الاعتدال"[2].

كما ذكر أثر الشمس في صحة الإنسان، وأن العرب أصحاب تجربة وخبرة . كما لاحظت الكاتبة من خلال حديث الجاحظ عن أثر البيئة، فالجاحظ كان بإمكانه ولكنه لم يسعفه الحظ في ذلك، والسير الزمني للعلم ولا التحليلات المخبرية بأن يقول أن للشمس فوائد جمة، فهي تمد الجسم بالفيتامينات النافعة له. فعندما يتلقاها الانسان ، وعندما يتعرض للأشعة مباشرة في مدة زمنية معينة، كذلك لها أهمية كبيرة في معالجة الكثيرة من الأمراض، كتحقيق سنية الاصفرار لدى حديثي الولادة، كذلك يتضح الأطباء بضرورة التعرض لأشعة الشمس، لمنع تساقط الشعر، وذلك بتهويته وتعريضه لأشعة الشمس، لذلك تفطن وتنبه الجاحظ إلى أهمية ذلك كله بما أتيح له من علم ومعرفة .

[1] – رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 252

[2] ينظر المصدر نفسه، ص 253

كما لاحظت الكاتبة أن الجاحظ تحدث عن أثر البيئة، ويقصد به البيئة البشرية المحيطة بالفرد، والأسرة من خلال سكان الحي وأقاربه، حيث يقول:" فداء المنشأ والتقليد، داء لا يحسن علاجه جالينوس{ ولا غيره من الأطباء}"[1].

ويقصد هنا إلى دور الأسرة في تنشئة الطفل، فالمولود يولد على الفكرة، فأبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، فلطفل يكون صفحة بيضاء فالوالدين هما من يرسم ويكتب على تلك الورقة سير حياة طفلهما، وسلوكاته فعلماء الاجتماع قد نبهوا إلى خطورة مراحل الطفل في السنوات الأولى، لأنها تشكل المرحلة القبيلية لأن الطفل يكون غير منسجم مع عالمه الأخر .

فالجاحظ قد نشأ في مجتمع ، كان يسوده الرخاء، وبما أن زمنه انتشرت فيه الزندقة والشعوبية، فهو حاول، وسعى في ان يعالج بها المجتمع الإسلام في عصر الجاحظ كما أوصى مجتمعه بأن يربوا أبنائهم على تعاليم الإسلام، حتى إذا خرجوا إلى مجتمع أوسع، تكون لديه خبرة في الأخلاق، فنمتعهم عن الانحراف في ايجاد السبل إلى حد ما فالجاحظ نقل عن أستاذه(النظام) عن دور البيئة، وأثر الجنس في الذكاء" وأن الأمة التي تنضجها الأرحام ويخالفون، في ألوانهم، وألوان شعرهم وأعينهم، سبل الاعتدال فلا تكون عقولهم وقرائحهم، وتفاوتهم ما بين الفطير والخمير"[2].

كما جعل مقارنة بين أهل المدينة وأهل القرية، ولاحظ من خلال مشاهدته وتنتقله بأن أبناء القرية مثلا، ربما إذا انتقل إلى المدينة، فوجد بها أمورا لم يعهدها ، ولم يألفها والعكس في ذلك صحيح.

كما تحدث الجاحظ، وما نقله عن أستاذه النظام، عن دور البيئة، وأثرها وأثر الجنس غي الذكاء.

كما التفف الجاحظ إلى أمر وشأن أهل منطقة آسيا، كيف أنهم يستطعون أن يقوموا بالصناعات الدقيقة، التي تميزوا بها من غيرهم، وذلك يعتمد على قوة البصرة وشدة الملاحظة، والدقة في الصنع.

[1] – رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، ص254

[2] – ينظر: المصدر نفسه ، ص 255

يرى الجاحظ بأن الأعراب شر من الحضري، وجعل لكل منهما ميزة خاصة به، وتوصل إلى أن هناك تفاوت بين بني البشر، من أثر لون البشرة، فهو يذكر صفات تميز الحضري على الأعربي، وأثر التضاريس المنطقة في طباع أهلها، وانعكست عليهم سهولة وصعوبة، ما أن أثر البيئة من أثر لون البشرة، فأبناء الصحراء مطبوعون على الصبر وتحمل الصعاب والعطش، وربما حتى جوع وحتى ظروف القاسية من العيش" والناس إذا جاعوا واشتد جوعهم، شدوا على بطونهم ،فإن استقلوا إلا شدوا الحجر"[1].

وكذلك البيئة لها تأثر في لون البشرة، بحسب المناح فمنه الحار، والبارد، والاعتدال الإقليم، لذلك عبر أبو عثمان عن مدى تعلقه وبإعجابه بأعرابي بأنه كان يستخدم معجم بيئة، ووصف حبه الشديد بالإبل، والتغزل به فقد مازحه الجاحظ محاورا إياه، وكأنه أراد من تلك المحاورة ، أن يبين للقارئ أولا، أثر البيئة في معجم الإنسان الخاص، ثم كيف أن الجاحظ يفضل التزام هذا الأعرابي بالصدق مع نفسه أولا ثم مع غيره، ذلك بأنه تحدث لغة قومه، ولهجة بيئته.

فالجاحظ يؤكد ذلك ويرى أن الأعرابي شرهي الحضري، فالأعرابي كما يقول:" إن مدح كذب، وإن هجا كذب، وإن أسبب كذب، وإن طمع كذب، ولا يحبه إلا من هو في طباعه"[2].

كما وجهت الكاتبة التفاف حول الجاحظ، ومدى تكييف الإنسان مع ما في البيئة التي يعيشها والمخاطر، والصوبات التي يواجهها، كما أن أبناء البادية يتميزون بالشجاعة، وقوة القلب، بخلاف أبناء المدن فإنهم يخافون، وتقتل فيهم عدم التجربة، والمغامرة، إضافة إلى ذلك الفارق الزمني في التضاريس والبيئة، لذلك حرص العرب على الذهاب إلى البادية، حيث أنها لديهم فضاء واسع وهوائها نقي، وتفتح آفاق أمام الأبناء.

[1] – رابعة عبد السلام المجال، ملامح الحياة العباسية ، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص258

[2] – ينظر: المصدر نفسه ،ص 256-257

فالبيئة القوية تمد أبناءها بالقوة عكس البيئة الهشة والضعيفة، التي تورث الضعف والخمول، وعدم القدرة في حل مشاكلهم، ومواجهة الحياة، كما ترى الكاتبة بأن الجاحظ يرى أن تأثير البيئة فيما تحتويه من مخلوقات، هي قوانين عامة تسيير عليها الكائنات الحية، وكذلك الجماد، فهو يقف على هذه المسألة، ويؤكد مرارا "وهو بذلك يكن قد سبق أبن خلدون ولارمك وداروين بعدة قرون"[1] فأراد بذلك الجاحظ أن يبين بقوله هذا بأن الكل مشترك، في هذا التأثير كل من الكائنات الحية بدءا من الإنسان والحيوان والجماد والنباتات.

كما أنه أكد على تأثير البيئة على لون البشرة، وأنها تقع بتأثير الإنسان والحيوان فهو يضرب مثالا بأحقر وأصفر الأشياء، فيضرب بالمقلة وسط شعر الإنسان وتلون شعره. فالشعر هو البيئة المناسبة للقملة، فالبيئة هي الوسط الملائم لكل الحيوانات.

كما أنه لاحظ أن تأثير البيئة لا تقتصر على التغير في اللون فقط، بل هو التغيير في شكل الإنسان، كما تحدثت الكاتبة عن قضية المسح، ومناقشة رأي الفرق، والنحل لدى الجاحظ" فتوصل إلى أن هذه التغيرات ناتجة عن البيئة. فبدأ يضرب أمثلة من خلال ما حول البلدان، أما خبر به عبر الرواة والجغرافيين، فكان همه الحديث عن أثر البيئة، فهو يناقش موضوعاته من زاوية كافية، فهو يتحدث عن أثر البيئة على الكائنات الحية وعلى الجماد"[2].

تطرقت الكاتبة إلى ما مضى إليه الجاحظ عن تحدثه على طبيعة البلدان في التأثير على بني البشر ويبين الخصائص النفسية، وخصائص هذه المناطق الجغرافية، فبعضها يعود بأثار سلبية على عقله، وطعامه، وتغير في صفات خصائصه، كما تحدثت عن بعض الأوطان التي انتشرت فيها الأوبئة،

[1] رابعة عبد السلام المجال، ملامح الحياة العباسية ، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص260-262

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص259

ومن بينهما طاعون عمواس الذي قضى على كثير من المسلمين خلال خلافة الفاروق رضي الله عنه، والتي قضت على الكثير من الأمة.

تحدثه عن مظاهر الإزعاج والقلق السيء ، وأشارت إلى الأصوات الناعمة والعذبة فاللحن مادة مهدئة لأعصاب الطفل بدلا من صوت الضجيج الذي يفزعه، وسبب له مشاكل نفسية، وعقدا ربما لأزمنة طيلة حياته، فالأصوات أدواره مختلفة . فهناك أصوات مفزعة ومرعبة لدى الإنسان، فإن النفس تكره صوت الصاعة " فأما الذي نشاهد الأمر عليه، فإنه متى قرب منه قتله، ولعل ذلك إنما هو لأن الشيء إذا اشتد صدمه فسخ القوة أو لعل الهواء الذي فيه الإنسان و المحيطة به أن يحمي ويستحيل نارا[1] .

كما تحدث عن أثر الموسيقى، حيث استخدمها علماء النفس في علاج بعض الأمراض النفسية كما أشار الجاحظ إلى ذلك مبينا الأثر الإيجابي لا على الإنسان فحسب، بل تجاوزه إلى عالم الحيوان.

وقد تنبه الجاحظ وهو القائل بلعم النفس الحيواني إلى أثر الأصوات في الحيوان أيضا فلكل حيوان نوع من النداء فالصوت الخاص به، ولكل منهم نشاط خاص به، فهناك بعض الأصوات العالية المرتفعة على بعض الحيوانات، مما يؤدي إلى حالة الإجهاض عند الحوامل منها.

لذلك الجاحظ بأن سلوك الحيوان يشبه سلو الإنسان، بل وقد اعتبره أحد عناصر المجتمع الهامة كذل وجد تفسير بعض التصرفات الحيوان ، وربط هذه التصرفات بأهداف معينة.

وليؤكد الجاحظ الشبه الكبير بين الإنسان والحيوان ، يقول عن الغراب:" وهو مع ذلك يكون حالك السواد شديد الاحتراق، ويكون مثله من الناس الزنج فإنهم شرار الناس .... وإما يكون أبقع فيكون اختلاف تركيبه وتضاد أعضائه دليلا على فساد أمره والبقع ألام من السود وأضعف

[1] – رابعة عبد السلام المجال، ملامح الحياة العباسية ، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،ص264،268

فالجاحظ يؤكد قوله في أثر البيئة على شكل الخارجي للإنسان، حتى ان فسادها أعطى للإنسان شكلا أخرجه عن تلك الهيئة والصورة المقبولة المألوفة للإنسان الطبيعي، وقد عز الجاحظ إلى فساد في التربة والماء والهواء، واصفا موجودات البيئة حيوان ونبات التي ربما زاحم بعضا إبقاء على الحياة.

تحدثت الكاتبة عن أثر البيئة على الكائنات الحية، أثبت دورها الكبير على سائر الكائنات، والجمادات، كما وضح أثر البيئة على الأديب حارصا على صفوة الأمة في مجتمع من علماء، وأدباء، وكتاب، ويمكن إصلاح هذه الفئات بإصلاح المجتمع.

كما وصف أهل خرسان والأهواز، وأن أثر بيئتهم الفاسدة أورثتهم فسادا عاما في شكل والطبائع والعادات والتقاليد، فهو يصف أثر البيئة على الأهواز وتلوثها والخطر الذي انتقل إلى العرب بالعدوى." فأما قضية الأهواز فإنها كل من نزلها من بني هاشم فأما قضية الأهواز فإنها كل من نزلها من بني هاشم إلى كثير من طباعهم وشمائلهم، ولابد للهاشمي، قبيحا كان أو حسنا، أو دميما كان أو بارعا رائعا، من أن يكون لوجهه وشمائله طبائع يبين بها من جميع قريش وجميع العرب"[1].

فهو في أول حديثه تحدث عن البيئة، فبدأ بيئة البصرة، وهي البيئة التي عاش فيها وناقش أثر تلك البيئة في الحيوان، والنبات، وحتى الإنسان، فتحدث عن خيراتها التمور وكيف يمكن تمييز تمور البصرة على الكوفة.

كما نطرق إلى الحديث عن المجموعة من الحيوانات التي عاشت في بيئته، فمن بين هذه الحيوانات البرية والبحرية، والجوية، ولكل هذه الحيوانات طريقة عيشها الخاصة بها، فوصف البيئة وصورة البيئة البصرية، لأنه ابن بيئته، فهو نشأ وترعرع ومات فيتلك البيئة، فكان متعلق ببيئته، فهو صورة مجتمعه

[1] رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، ص269

بدون تزينيها لهذا المجتمع، فقال في ذلك:" وقد زعم أهل البصرة أن مشان الكوفة قريب من بني البصرة"[1].

فالجاحظ كان أول عالم اجتماع خاض في قضايا اجتماعية هامة ولعل أهمها. البيئة أهميتها وأثرها في الكون فأثرها على طبائع أهلها ولإنعكاس السلبي والإيجابي، مركزا على خطورة البيئة في الأسرة، وحياة الطفل بالأخص، كما تطرق في حديثه دور المثقفين في جوانب الحياة العلمية، والثقافية مبينا أهمية البيئة بالنسبة للأديب، وأن المجتمع الذي عاش فيه الجاحظ هو خليطا عجيبا، مناقشا أهمية البيئة، وأثرها على الكائنات الحية، فهو سابق ابن خلدون، ومن جاء من العلماء في تمهيد هذه العلوم، اتصبح علما قائما بذاته، ويدرس في الجامعات والكليات.

ثالثا: صورة المجتمع عند الجاحظ:

لقد تحدثت الكاتبة على مدى نجاح الجاحظ وتفوقه، أنه دخل موضوعات جديدة من الأدب العربي في العصر العباسي، مصورا المجتمع الذي عاش فيه والتحدث عن طبقات المجتمع، فهو تحدث عن المجتمع العباسي عن غيره من عصور الدولة الإسلامية، لأنه عصر الازدهار والنماء في كل المجالات العلمية والثقافية، فهو صور كل كبيرة وصغيرة عن هذا العصر .

فوضح الجاحظ في كتابه الحيوان صورة اجتماعية، فمجتمعه كان يسوده الرفاء واللهو والمجون، فهو مفكر حاول إصلاح مجتمعه، فهو يرسم تلك الصورة بدقة ووضوح، فهو يخشى على مجتمعه الذي تبدلت فيه القيم والعادات والتقاليد لذلك كان يأدب ويحثه على تأسيس وبناء الأجيال منذ النشأة الأولى متيقنا من الأجيال هي التي تبني المجتمع فهو مسؤول على إعماره، وأن صلاح الأجيال من

[1]- رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 270،273

صلاح المجتمع" كما يبين أن الأسرة هي أساس المجتمع الصالح فأن صلحت صلح المجتمع وإن فسدت فسد المجتمع، كما نبه على اهتمام ورعاية الذكور والإناث"[1].

كما نبه على المرحلة التي أطلق عليها التربويون فيما بعد(سن المراهقة) كما أورد في كتابه الحيوان، ويخص هذه لفة من الشباب، كما أوصى الآباء على أبنائهم، كما أوصى وحث على تعلم البنات والمرأة بشكل عام. واتخذ منهجه هذا من القرآن والسنة، لأن الدين الحنيف يحث المرأة على التعلم والتفقه، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخص نساء المسلمين، بيوم يجلس فيه معلمهن للتفقه في أمور الدين، كما كان يوصي بالنساء خيرا وأنه قال:" خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء" أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وقد اختار الجاحظ للفتاة العلم النافع، الذي يؤهلها أن تكون ذات أخلاق وذات دين، وأراد أن تتأهل لتكون أم للمستقبل، ومصنع للرجال، فالأجيال فهو يحث على ترابط المجتمع، ليست بين أفرادها الخصال الحميدة، والأخلاق العالية كما بين أن السعادة هي التي تقوم على كتمان السر، كما ورد في حيوانه أقوال الصالحين والسلف الخير في ذلك، سواءا شعرا أم نثرا، وذلك لما له دور كبير في أن يثق بعض أبناء المجتمع ببعضهم فيحفظوا السر، وعلى وحدة المجتمع.

كما أكد الجاحظ الشيم الحميدة في أبناء مجتمعه وبناته، كما كان حريصا على الفتيات هو أيضا شديد الحرص على شباب المجتمع من الرجال. كما كان يعدهم لحمل مسؤولية عظيمة، فيروي عن(العباس بن عبد المطلب) حديثه مه ابنه(عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما (يابني أنت أعلم مني، وأنا أفقه منك إن هذا الرجل يدينك، عمر بن الخطاب). فأحفظ عني ثلاثا: لا تفش له سرا ولا تغتابن عنده أحدا، ولا يطلعن منك كذبة"[2].

[1] رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، ص274-276

[2] -ينظر: المصدر نفسه، ص 227

نستنتج من الحديث السابق التحذير من الكذب والغيبة وإفشاء السر، كما نلاحظ أن هذه الصفات الثلاثة سببا في هدم المجتمع، ويزلزل قواعده، وأسسه فالجاحظ مفكر من مفكري الأمة التي ذهلت بما كان قد غشي العالم العربي والإسلامي فهو أراد لمجتمعه التميز، فهو كان حريصا في كتابه الحيوان، وصايا الوالدين لابنتهما ليلة زفافها، وذلك لتبني بيتها، وتأسس مجتمعا سليما، وإتباعه لما جاء به الدين الحنيف، فقد أوصى رجل من العرب ابنته ليلة زفافها بوصايا فكان مما قال لها(احذري مواقع أنفه، واغتسلي بماء القراح، كأنك شن ممطورا)[1].

نلاحظ من القول بأن كلا من الأب والأم يوصيان ابنتهما ليلة زفافها، وذلك للإرشاد والتوعية، ووجوب المحافظة على الأسرة التي تعتبر الركيزة الأساسية لبناء مجتمع سالم.

ترى الكاتبة أن الجاحظ يعرض أمرا، غير نقيضه، فهو يخالط بين اختلاف الأنساب في مجتمعه، ويضرب مثلا عن الحيوان ولا سيما الحمام. فهو يبرر بعض الفئات في مجتمعه، بعدم المبالات في التعامل مع النساء كما حث على حسن اختيار زوجاتهم، كما يؤكد على اختيار الزوجة، وذلك لما لها أثر على النسل الذي يسبب للأب ويلصق به، وقد زعم الأصمعي أن رجلا من العرب قال لصاحب له،:" إذا تزوجت امرأة من العرب فانظر إلى أخوالها وأعمامها وإخوتها، فإنها لا تخطئ الشبه بواحد منهم"[2].

يلاحظ مما سبق بأن حسن اختيار الزوجة له دور كبير في بناء الأسرة لأنها هي الوحيدة القادرة على تربية النشأ تربية صالحة.

فهو يحث على البيئة النقية لتربية الأولاد، وضرب مثلا لذلك بالحمام، لتحفظ لبيض وينهي الجاحظ روايته ليؤكد أهمية البيئة وأثرها في تربية النشأة الأولى فالأسرة تبدأ بالمرأة، فهو يمثل عالم الحيوان، وأن

[1]-رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص278

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص 279

الأب هو الذي يحمل المسؤولية ، وهي العناية بالأسرة، كما بينت الكاتبة بأن البيئة لها دور أساسيا في تربية الأولاد، لذلك لاحظت الكاتبة أن الجاحظ يحث الأمهات والآباء أن يهيؤوا الأولادهم البيئة النقية،" ومثل الحمام، وأمر بأن يكون الإنسان مثل هذا الكائن العجيب لأنه كان رمزا لرعاية الأبناء "[1].

كما ترى الكاتبة بأن الجاحظ، يرجع المسؤولية عظيمة اتجاه الأولاد وأن تهيئ له البيئة الضرورية ، كما بينت بأن إصلاح الأبوين يرسمون علة هذه الصفحة ما يسؤون، فعليهم الاهتمام، والاعتناء بأولادهم لإذنهم هم يجلبون أو يبعد عنهم الغم .

فالأم هي مسؤولة عنه، في رعايته، فعليها متابعة ، والمراقبة وشدة الملاحظة، فترى الكاتبة بأن الجاحظ خص الأم بالرعاية لأنها هي المسؤولية عند الطفل أكثر من الأب. لأن الله سبحانه وتعالى زرع في الأم غريزة الحب والحنان، وهذا ما لاحظته الكاتبة وما طبقه الجاحظ على الأم الجاهلية وينعتها بالأم الخرفاء، لأنها كانت تقوم بأشياء خرافية.

فالأم تهزه غي المهد حتى تورثه الدوار، فتضرب يدها على جبينها حتى ينام فهو يرى بأنه نام على غم وكتم وهذا ما أكسبه الغم. فهو يحذر من هذا السلوك. بحيث قال:" فكانت الأم جاهلية حركته في المهد حركة تورثه الدوار أو نومته بأن تضرب يدها على جبينه"[2].

نلاحظ بأن الأم في اعتقادها عند تحرك الطفل أو تضرب جبينه بأنه ينام بسرعة ففي الجاهلية كانوا يتشاءمون بالمولود البكر لأنهم يضمون سلامته وكانوا يتمنون أن تكون أنثر. وهي الحالة الوحيدة التي تمنتها العرب في الجاهلية، وذلك لأنثى إذا تعرضت إلى الخطر كان أسهل على القوم من أن

[1] رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص280-282

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 284-286

يتعرض لذلك الذر. وجاء في قوله:" وهو لا يثقون بحياة البكر من الناس كما يثقون بحياة الثاني، ويرون أن طبيعة الشباب والابتداء لا يعطيانه شيئا"[1].

إذن سيتخلص من هذا القول أحب البكر لأنهم يعتمدون عليه في الحرب والغزوات وحرصهم عليه ان يكون نسلهم قوي عالي الهمة .

كما لاحظت الكاتبة لدى الجاحظ على ضرورة صواب اختيار، وكما كانه لا يحبذ زواج الأقارب، ولك للحفاظ على النسل وسلامته وقوته، فهو يتحدث عن زواج الأقارب وكأنه عالم من علماء الوراثة، وهذا المنهج هو إسلامي فقد سبق الإسلام الحديث في المعنى(غربوا النكاح).

فهو يعلل بذل قوله:" ورأينا الخلاسي من الناس، وهو الذي يتخلق بين الحبشي والبيضاء، والعادة من هذا التركيب أنه يخرج أعظم من أبويه، وأقوى من أصله وممتريه"[2].

كما تطرق إلى مراحل التي يمر بها الطفل. بدأ من الرضاع إلى غاية البلوغ بحيث تطرق إليها العلم التربوي، ثم علم النفس، وكيف للأهل التعامل معهم، كما حث ضرورة تعليم الأولاد في سن مبكرة، لما لها من أثر والقدرة على الفهم، والحفظ لان في هذه المرحلة يكون أقل انشغالا من الكبار، لذلك قال(حين العناية تامة لم تنقص، والأذهان فرغة لم تنقسم، والإرادة وافرة لم تتشعب والطينة لينة"[3].

يلاحظ مما سبق بأن الطفل لما يكون صغيرا يكون فارغا عن الأشغال التي قد تشغل الكبار، يكون الذهن فارغ.

كما لاحظت الكاتبة أن الجاحظ، أعطى أولوية مهمة للمرأة، ولم يقتضي على كونها، في ترى بأنه أول كاتب قد أعطى للمرأة اهتماما ورعاية كما رأت تحدثه للمرأة في حالات ضعفها وحاجتها

[1] – رابعة عبد السلام المجال، ملامح الحياة العباسية ، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص283

[2] – المصدر نفسه، ص 288-290

[3] – ينظر المصدر نفسه، ص287

للرجال، ومن ترى فيه القوة والحماية، فهو خير سلاح لها تستخدمه في حالات ضعفها قال: (والمرأة إذا ضعفت على كل شيء فزعت إلى الصراخ والولولة، التماسا للرحمة، استجلالا للغياث من حماته وكفاتها، أو من أهل الحسية في أمرها)[1]

فالمرأة العظيمة لها مكانة ومنزلة في المجتمع، فهي تضعف ثم تقوى، وتسعى للمحافظة على أسرتها وذلك بالتمسك بالرحمة .

فلقد نظر الإسلام إلى المرأة تختلف عن الجاهلية وغيرها، فالإسلام رفع مكانتها، فالإسلام دعا إلى المساواة بينها وبين الرجل، فالجاحظ حسب رأي الكاتبة، لم يتر طبقة اجتماعية، ولا فئة فكرية، ولا ملة ، ولا معتقد، ولا فرقة إلا مية فرسم في كتابه الحيوان، وأبرز دورها في سير حياة ذلك المجتمع، فهو رسم كل ما يخص الأسرة باختلاف أطوارها وظروفها، فكل فرد من أفراد مجتمع الجاحظ ظهر على مسرحه ولكل دوره، ابتداءا من الخلفاء الذين عاصرهم الجاحظ، انتهاءا بالطبقات الاجتماعية، كما بين الجاحظ خلفاء زمنه على دراية تامة بما يحدث في مجتمعهم كما تحدث عن المنصور ، وهو أكبر الملوك والخلفاء اهتماما بالفيلة، وأن هذا الحيوان له مكانة عظيمة في نفوس الملوك، فالفيل لهم أشرف مراكب الملوك:" ولم يجتمع لأحد من ملوك المسلمين من الفيلة ما اجتمع عند أمير المؤمنين المنصور، فقد اجتمع عنده أربعون فيلا، فيها عشرون فحلا "[2].

يتضح مما سبق بأن للفيل مكانة عالية عن الملوك، وخصوصا أمير المؤمنين المتصور الذي كان يملك كما هائلا من الفيلة، وهذا دليل على أن الفيلة رمزا للهيبة وشرف الخلافة.

كما تبين للكاتبة ان الجاحظ كان يبرز ويخص الخلفاء بعض الهوايات، فيصور كيف كان أمير المؤمنين المعتصم بالله مولعا ومغرما، باللعب مع الحيوان فكان يشاهد رياضة منها المصارعة الحيوانات

[1] – رابعة عبد السلام المجالي، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص291

[2]– ينظر: المصدر نفسه، ص292-294

ومبارزة بعضها مع بعض، فيرى الجاحظ عن الأمين قصة فيلقبه بالمخلوع، وكان الجاحظ غير راضي بسياسية الأمين في أيام حكمه في مجتمعه، فالأمين كان يجالس أهل القمار والخمارات فكان يترك البلاد في وقت الشدائد ليجالس هؤلاء ولاة الخلعاء.

فأما ما عرضه الجاحظ في حيوانه عن أمير المؤمنين، فعبر عن التطور والنمو والازدهار الثقافي والعلمي، الذي تميز به عصر المأمون وكشف عن مدى ثقافته كقائد دولة وراعي سياسة، بحيث وصف الأدباء والكتاب عصر المأمون بأنه كان العصر الذهبي للأمة العربية والإسلامية، كما شارك في الندوات وحلقات العلماء، كما جالس الفقهاء والأطباء، فالجاحظ كان معجب بسياسة المأمون، وكان صاحب ثقافة واسعة.

وأنه يجاج المترجمين واللغوين، كما تبين للجاحظ في حيوانه أن الخلفاء، لابد أن يواجهوا صعبة وجهدا لأداء أعمالهم وإتمام سياسة العوام.

فأحيانا يخلدون إلى عالم اللهو والترفيه عن النفس، وأحاطوا أنفسهم بالجواري والمغنيين، وكانت مجالسهم اللهو في دور الخلافة تتم بحضور الشعراء والمغنيين فقد روي الجاحظ رأي أبي المبارك الخصي وذلك جلبا للضحك والسرور حيث قال:" وقد كانوا يستمعون منه أحاديث عن خصيان الصائبة ويستمر عندهم فيروي طرفا من الأخبار ونوادر الكتب"[1].

يتضح مما سبق أن هذا العصر تميز بأصناف من الكتب الداعية إلى اللهو واللعب كما أن المأمون كان محبا للعلم مقدرا للعلماء، والحكماء ومثمنا دورهم في بناء المجتمع.

فالجاحظ يظهر حقيقة مجتمعه الوجه القبيح فيه، فهو صور لنا من كان جادا عالما أديبا، وفي المقابل ذلك رسم صورة من كان لاهيا،" ويصور لنا الجاحظ اسحاق بن سليمان الهاشمي ولعا بالحياة

[1] رابعة عبد السلام، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ، ص 295-299

الأدبية والعلمية حتى إنه حين دخل عليه بعد عزله عن إحدى الولايات التي كان يليها إذ ذاك وحواليه الأصفاط والرقوق والقماطير والدفاتر والمساطر والمحابر"[1]

إذن الجاحظ يعرض صورة مجتمعه، وكيف عاش الوزراء، ومدى اهتماهم بالشعر والشعراء، فكتابه لم يختص طبقة دون سواها، كما وضح في كتابه إلى الحياة العلمية والثقافية التي كانت في عصره، كما بسط القول في الحياة الاجتماعية، فهو لم يترك طائفة إلا تناولها بالذكر، وخصمها بالتصوير بمنتهى الواقعية ، وهذا ما جعله ينطق بمجتمع عصره ويمثله خير تمثيل دون تستر أو تخف.

ما تحدث الجاحظ عن القبائل فنقل كما نظمه(حمادة الرواية) في ذلك ذاكرا القبائل التي كان هؤلاء ولاة ينحدرون منها ودخلهم محذرا منهم المسافرين " ويطيل الجاحظ في ذكر مواضعهم وأماكنهم التي كانوا يوجدون فيها ذاكرا أسماءهم وألقابهم، ومحذرا من سرور"[2].

فرأت الكاتبة بأن الجاحظ نبه إلى فئة في مجتمعه كادت تشكل ظاهرة وهي ظاهرة الخصيان، التي نسب وجودها إلى الروم فهم أول من قام بهذا الفعل الذي أباه الخلق والدين تعاطفا شديدا اتجاه هذه الفئة التي وقعت تحت ذلك الظلم والجور الاجتماعي، كما عرض الجاحظ الطبقة الفقيرة في المجتمع، والتي يصعب عليها العيش في الحياة .

فالجاحظ عاش في عصرنا ومجتمعنا الذي يستهين بالثير في المجال حقوق الناس وقد استند إلى الكثر من العادات الاجتماعية الخاطئة، فصور الخداع الاجتماعي الذي كان بعض الأفراد يمارسونه في مجتمع الجاحظ من اجل كسب الأموال هي تلك الفئة التي كانت يطلق عليها (القصاص) فهي خطط تحيلية في إعداد القصص للناس، وهذه الوسيلة سهلة ومريحة لكسب المال.

[1]- رابعة عبد السلام، ملامح الحياة العباسية، من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، ص 301-309

[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص 300

ومن طرق الكسب وربما غير المشروعة من الطبقات، كما صور الجاحظ أساليب الحوائين في رقية الناس واخراج الافاعي والحيات من بيوتهم فهو سار في مجتمعه، ودخل جميع أحياءه المأهولة بالسكان فالتفي البحريين، ونقش أهل التخصص نقاشا مفصلا، فهو حاور التجار معبرا عن اعجابه بما فهم عمله فهما جيدا.

فبحثه يعجز عن الإلمام بالقدر الأكبر من هذا الكتاب الموسوعي، فيتحدث عن اليهود، ويحاورهم في معتقداتهم الدينية كما جالس النصارى ويصور وينقل ادعاءات بعضهم، من قساوة تهم وخداعهم للعامة من أبناء ديانتهم، وله حديث مطول عن أهل، المعتقدات التي استحدث وشاعت في عصره، حيث شعت في عصره مجون والزندقة، وحارب عداوتهم وبعضهم للإسلام وأهلهم.

نقد وتقويم

نقد و تقويم

أ – مدى تطابق العنوان مع المتن : يعد كتاب ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ كتاب جد مهم ، و خاصة في الجانب الادبي فالدراسة من تأليف رابعة عبد السلام المجالي و هي صادرة عن دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع بحيث تتكون من ثلاثة فصول **الفصل الاول** :معنون بالحياة العلمية في العصر العباسي فبدورها ناقشت منهج الجاحظ العلمي في البحث و التأليف ثم الطب عنده مبينة كيف كان الجاحظ دور مهم في ميدان علم النفس الحيواني ، و **الفصل الثاني** : عالج الحياة الثقافية فناقشت نظرة الجاحظ للكتاب مبينة كيف كان للجاحظ أول من وضع أسس الترجمة و أثر اللغة في عصره ، أما **الفصل الثالث** :فقد خصته للحديث عن الحياة الاجتماعية فبينت كيف تحدث الجاحظ في علم الاجتماع فوضع بعض الاسس الهامة في بناء المجتمع م تبيان أثر البيئة على خلق و طباع الناس مصورة مجتمعه في أطواره و محاولته مظهرة من خلالها الفئات و الطبقات المتعددة . و من هنا يمكننا القول أن رابعة عبد السلام المجالي قد ربطت بين العنوان و المتن لكتابها فهنا مرتبطة ارتباطا وثيقا ، فبمجرد أن نطلع على الفصل الاول من الكتاب حتى يتبين أن الكاتب اتبع أسلوب سهل و سلس بدل أسلوب المراوغة و التضليل إن صح التعبير .فالعنوان متوافق مع المتن توافق كلي .

ب–الحقل المعرفي الذي ينتمي اليه الكتاب :ينتمي الكتاب الذي بين أيدينا مجال الدراسات الأدبية و بالضبط إلى الحقل الادبي ،فهو يعد نشاط أدبي و ثقافي و حضاري الذي مازال يشغل بال الأدباء و الكتاب و النقاد و الباحثين و الدارسين ، و ممن ولعوا بترجمة و نقل مؤلفاته من العرب و غير العرب .فالكتاب الذي بين أيدينا يعتبر إضافة نوعية مجال الأدب الثقافي و الاجتماعي خاصة ، و حاول أن يثبت الحياة العباسية المختلفة التي تشمل الحياة العلمية و الثقافية و الاجتماعية ، لقد استقبل الأدب العربي من خلال مجموعة من الأعمال و الدراسات . فالكتاب الذي بين أيدينا يعتبر إضافة نوعية في مجال الأدب الثقافي و الاجتماعي و العلمي ، خاصة و أنها تحاول أن تثبت الحياة

العلمية و الثقافية و الاجتماعية في العصر العباسي ، ففي هذا المجال قامت بعرض جملة من الأدلة و البراهين و الاستعانة بمؤلفات اخرى لمؤلفين متعددين للإثبات رأيها ، و نعقب الآن على الآليات المنهجية التي استعملتها رابعة عبد السلام المجالي في تحرير كتابة فقرات كتابها ملامح الحياة العباسية .

1 – تراجع المادة المعرفية التي استقت معلوماتها بصفة عامة ثم نفصل في كل فصل على حدى ، فرابعة عبد السلام المجالي هنا اعتمدت على مادة معرفية من الدرجة الأولى كما أنها اعتمدت على كتب أصلية عربية لمؤلفين العرب أمثال : شوقي ضيف ،إميل بديع يعقوب ، صادق يوسف الدباس و الجاحظ الخ . و الملاحظ أن المصادر التي اعتمدت عليها رابعة عبد السلام المجالي كلها مصادر عربية ، فهي لم تشير إلى أي مصدر أجنبي اعتمدت عليه سواء كان أصلي أو مترجم أما فيما يخص الشواهد و الأدلة فقد اعتمدت الكاتبة اعتماد كليا على الجاحظ باعتبار أن آراء الجاحظ كانت بمثابة أساس بحث رابعة عبد السلام المجالي ، أما فيما يخص ببيوغرافيا البحث أو مكتبة البحث فيلاحظ أنها ثرية في الفصول الثلاثة فقد كانت متنوعة و متعددة فقد اعتمدت على القرآن الكريم و الحديث النبوي و بعض المصادر و المراجع و بعض المخطوطات .

و قد اعتمدت رابعة عبد السلام المجالي في بحثها على مجموعة من المراجع و المخطوطات و الرسائل منها :

* أمين ، أحمد ، أبو طالب ، محمد نجيب ، الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية .
* الجاحظ ،أبو عثمان ، عمرو بن بحر ، البيان و التبين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون.
* الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان و التبين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون .
* الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، رسائل الجاحظ ، الفصول المختارة من كتب الجاحظ .
* خفاجي ، محمد عبد المنعم ، أبو عثمان الجاحظ ، دار الكتاب اللبناني ن بيروت .
* الدروبي ، محمد محمود ، 2004، ضوء على مرض الجاحظ ووفاته ، مجلة المنارة ، 10 ، مجلد 10، العدد3، جامعة آل بيت المملكة الأردنية الهاشمية .

و الملاحظ أن الفصل الأول كان أغنى فصلا من حيث استخدامها بالإضافة غلى اعتمادها على مجموعة من الرسائل و المجلات ، مقارنة بالفصلين الآخرين و غياب الجانب التطبيقي و كملاحظة ثانية نلاحظ أن غياب المعاجم و الموسوعات و المراجع الأجنبية ...أما فيما يخص الهوامش و الأمانة العلمية فهناك مجموعة من الملاحظات الهامة نجمعها في النقاط التالية .

1-أن طريقة رابعة عبد السلام المجالي في توثيق الهوامش كاملة فعند العودة للكتاب الاصلي للجاحظ "الحيوان "مثلا نلاحظها أنها قد التزمت بعدد الصفحات في كل مرة ، الحيوان للجاحظ و في كل مرة تعتمد عليه و تذكر بلد النشر و السنة و الطبعة و هذا ما سهل على القارئ في انجاز بحثه .

2-اتبعت طريقة الترقيم الترقيم في الاحالة من الرقم 15في أول الصفحة من الفصل الاول وصولا إلى الرقم 314 في آخر صفحة من الفصل الثالث ، فهنا لم تعتمد المتعارف عليها و هي بداية كل صفحة تبدأ بالرقم 1-2-3.....الخ و تكرر العملية .

3-نجد أن رابعة عبد السلام أنها لم تقوم بتقديم التفسيرات و لم تتطرق غلى شرح بعض الكلمات الصعبة . 4-نلاحظ أن رابعة عبد السلام اعتمدت على التكرار فأحيانا نذكر شيء في الفصل الأول ثم تكرره في الفصول الأخرى .

التعليق و التعقيب : الطريقة التي اعتمدت عليها رابعة عبد السلام المجالي في توثيق الهوامش، تعتبر سهلة و ليس متعبة على القارئ فهي راعت مستوى الباحث أو القارئ إذ قامت بذكر المؤلف أو المؤلف مراعات ذكر عدد الصفحات الأصلية للمراجع ،و هذا ما سهل على القارئ أو الباحث في عملية الاستفادة من المراجع .و معلومات جديدة أن تثري ثقافته و رصيده العلمي .و هذا ما يعلن تعامله مع القارئ المتمكن جدا فقط ، و هذا الاخير على دراية كاملة و شاملة و ليس بحاجة إلى مكتسبات جيدة تثري رصيده المعرفي ،فرابعة عبد السلام المجالي و قفت في حق القارئ البسيط .
تعتبر الفكرة العامة لكتاب رابعة "ملامح الحياة العباسية "فرابعة عبد السلام المجالي يحث مطولا لتثبت في الاخير بالأدلة و البراهين أن الحياة العباسية كانت في ازدهار متطور كبير شملت كل المجالات ى.

فالكاتبة "رعب العباسيون أن يحيوا في عصرهم ،فلم يغرقوا في التعصب و التعقيد لعادات و تقاليد تتطلع إلى حرية الفكر لتملك علوم شتى اليهم تأثرا بالواقع المستجد .[1]

1-رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ، دار كنوز المعرفة العلمية ، ط1، 2008،ص19

خاتـــمة

خاتمة

و في نهاية دراستنا لكتاب رابعة عبد السلام المجالي ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات لخصناها على نقاط و هي كالتالي :

1-تميز العصر العباسي بالتطور العلمي خاصة في الطب .

2-يرى صادق يوسف الدباس أن اللغة تطورت و تغيرت في دلالة الكلمات العربية .

3-يشير إميل بديع يعقوب أن اللغة العربية تتألف من مجموعة من الرموز الصوتية .

4-لقد عبر الجاحظ عن أهمية مجتمع العصر العباسي.

5- اعتمد الجاحظ على المنهج العلمي الذي يشمل الشك ثم التجربة و الجمع بينهما .

6- صور لنا الجاحظ صورة مجتمعه على حقيقته دون تزييف و الاستناد على بعض الحقائق من الواقع .

7-ربط الجاحظ بين العالمين معا ، عالم الانسان و عالم الحيوان .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ **القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.**

المصادر:

❖ الجاحظ ،الحيوان ،شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر ،ج 3 د ،ت ،ط 2 ،2003.

المراجع:

- إميل بديع يعقوب ،فصول في فقه اللغة العربية ،المؤسسة الحديثة للكتاب ،طرابلس ،لبنان ،ط، 1982.
- رابعة عبد السلام المجالي ، ملامح الحياة العباسية من خلال كتاب الحيوان للجاحظ ،دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع، الأردن، 2008.
- شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأول ،دار المعارف و الفكر ،القاهرة ،ط1، 2008.
- صادق يوسف الدباس ،دراسات في علم اللغة الحديث ،دار أسامة لنشر و التوزيع ،عمان ،الأردن ،ط 1 ،2012.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
كلمة شكر	-
إهداء	-
بطاقة فنية	-
مقدمة	أ
مدخل	05
الفصل الأول: الحياة العلمية	-
أولا: منهج الجاحظ في البحث و التأليف	13
ثانيا : الشك عند الجاحظ	13
ثالثا: التجربة	14
رابعا: الشمولية	16
خامسا :الواقعية	18
سادسا: الطب عند الجاحظ	19
سابعا: الجاحظ عالم نفس	24
ثامنا : علم نفس الحيوان	25
الفصل الثاني: الحياة الثقافية	
أولا: نظرة الجاحظ للكتاب	29
ثانيا: الترجمة	31
ثالثا: اللَغة عند الجاحظ	36
الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية	
أولا: الجاحظ عالم اجتماع :	42
ثانيا: البيئة عند الجاحظ	48
ثالثا: صورة المجتمع عند الجاحظ	57

نقد وتقويم	67
خاتمة	72
قائمة المراجع	-
فهرس المحتويات	-